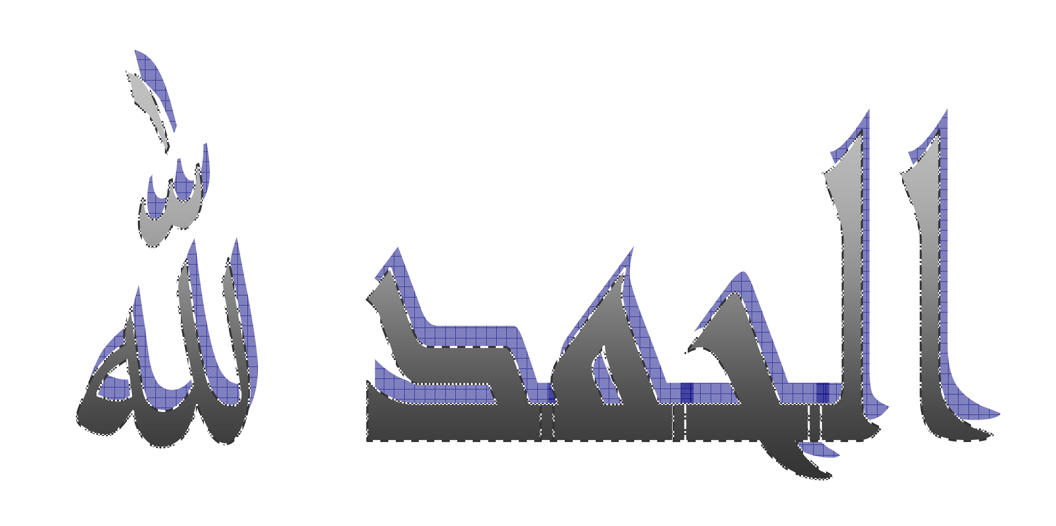


علوم اللغة

المجلد التاسع العدد الثاني

٢٠٠٦م


الحمد لله

أولاً: النظرية

النشأة ومراحل التطور:

مما لا شك فيه أن الدراسات اللغوية البنيوية: النحو التحويلي التوليدي (لدى تشومسكي) ونحو التبعية (التعليق) (لدى تنيير) ونحو الحالة (لدى فليمور) قد اهتمت بالمركب الفعلي أو العمل (الإسناد) بوصفه نـواة الجملة. وعالجت المركبات الاسمية بوجه خاص في نموذجي نحو التبعية (التعليق) و(نحو الحالـة) بوصـفها قيمًا تابعة (عناصر أساسية) في نظرية التكافؤ (قوة الكلمة) وما سُمي (الحالة العميقة) في (نحو الحالة)[١].

وكانت أقصى غايتهم دراسة الجملة؛ لقولهم: «إن الجملة هي أكبر وحدة مستقلة»، إلا أنه وجـد مـن العلماء من يرفض هذا القيد المقتصر على دراسة الجملة، ويسعى إلى دراسة الوحدة الممثلة لتتابعـات مـن الجمل والتي عرفت فيما بعد بـ(النص Text). وكان من أوائل هؤلاء اللغـويين (ز.س. هـاريس) ١٩٥٢م الذي أطلق على نمط هذه الدراسة (النهج المجاوز للجملة) وقد جـاء ذلـك فـي بحثـه "تحليـل الخطـاب "Discourse Analysis" 1952م، الذي اهتم فيه بتوزيع العناصر اللغوية في النـصوص، كمـا اهـتم بـالربط (Link) بين النص وسياقه الاجتماعي. وقد حظي هذا البحث باهتمام علماء اللغة إلى وقتنا هذا[٢]. وقد تابعـه (ك.ل. بايك) ١٩٥٤م في تأكيد هذه الدراسة ثم ظهرت دراسة لـ(دل هيمز 1960 Dell Hymes)م، الذي ركز على الحدث الاجتماعي.

ويعتمد الرافضون لنحو الجملة على أن البشر عندما يتواصلون لغويًا لا يُمارسون ذلـك فـي جمـل مفردة منعزلة بل في تتابعات مجاوزة للجملة مترابطة (متماسكة). ولا تدرك النـصوص فـي ذلـك أساسًـا بوصفها أفعال تواصل فردية بل بوصفها نتائج تفاعلات متجاوزة الإفراد (أبنية منطوقة بين الذوات). ويعنـي هذا أن كل تحليل لغوي يجب أن ينطلق من النص لكونه مجال الدرس، وهذا مـا دعـا إليـه (فـاينريش) ١٩٦٧م، (ب. هارتمان 1968 Hartman)م[٣].

ثم تتابعت اهتمامات فلاسفة اللغة والعلوم بأبحاثهم ودراساتهم في تأكيد هوية "علم اللغة النصي" وبيان خصائصه ونظرياته وأهدافه، وقد توج ذلك على يد (هاليداي 1973 M.A.K Halliday)م، الذي رسخ مفـاهيم علم لغة النص في اللغويات البريطانية، ثم ظهر كثير من الباحثين[٤] الذين عنوا بهذا الاتجـاه عنايـة فائقـة،

---

(١) زتسيسلاف واورزيناك: مدخل إلى علم النص- مشكلات بناء النص، تعريب د. سعيد بحيري، ط مؤسسة المختار، القاهرة ٢٠٠٣م، ص٦٠.

(٢) فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، تعريب د. فالح بن شبيب العجمـي، ط الملـك سـعود، ١٩٩٩م، ص٢٠ – ٢١ بتصرف، ود. صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ط دار قبـاء، القـاهرة، ٢٠٠٠م، ٢٣/١.

(٣) زتسيسلاف واورزيناك: مدخل إلى علم النص- مشكلات بناء النص، تعريب د. سعيد بحيري، ص٣٦ – ٣٧ بتصرف، وفولفجـانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص٢٢.

(٤) ينظر تفصيل مراحل تطور لسانيات النص: روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، تعريب د. تمام حسان،ط عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٨م،ص٦٦، ٦٧ وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ٢٣/١- ٢٤ بتصرف.

فقدموا دراسات وأبحاثًا أدت إلى تطور هذا العلم بحيث إنه لا يقتصر على دراسة النص (Text) فحسب، بل يسعى إلى دراسة بيئته والثقافات المتصلة به ومعارفه المختلفة ... إلى غير ذلك من العلوم المتصلة بالنص[(١)].

نحو الجملة ونحو النص:

يحرص علماء اللغة النصيون على توضيح أهمية نحو النص من حيث كونه لا يقتصر على دراسة الجملة بل يهدف إلى دراسة الروابط بين الجمل وتتابعاتها ومظاهر انسجامها، محاولين إبراز أوجه الاختلاف بين نحو الجملة ونحو النص في النقاط الآتية[(٢)]:

١- تنتمي الجملة إلى نظام افتراضي (النحو) في حين يعد النص نظامًا واقعيًا تكون من خلال الانتخابات من بين مختلف خيارات الأنظمة الافتراضية.

٢- تتحدد الجملة بمعيار أحادي (علم القواعد) من نظام معرفي وحيد (علم اللغة) في حين تتحدد نصية النص بمعايير عدة من مختلف الأنظمة المعرفية.

٣- تكون الجملة قواعدية أو لا تكون جملة البتة. أما النص فلا تنطبق عليه معايير النصية بمثل هذه الحدة[(٣)].

٤- يتأثر النص بالأعراف الاجتماعية والعوامل النفسية وبموقف وقوع النص بوجه خاص. في حين يضعف تأثر الجملة بهذه المؤثرات.

٥- يستند استغلال الجمل إلى المعرفة القواعدية التابعة لنظام افتراضي له صفة العمومية. أما استغلال النص فيستند إلى معرفة خبرات بوقائع فعلية خاصة.

٦- يعد النص حدثًا يوجهه المرسِل إلى المستقبِل؛ لإنشاء علاقات متنوعة، وتوصيل مضامين يعينها المنتج، ولا تقتصر على العلاقات القواعدية. في حين لا تعني الجملة إلا بالعلاقات القواعدية؛ ومن ثم فهي لا تمثل حدثًا.

٧- تتخذ الجملة شكلها المعين وفقًا للنظام الافتراضي المعلوم. في حين تتشكل بنية النص بحسب ضوابط المشاركين والمستقبلين على حد سواء[(٤)].

والحق أن هذا الفصل الحاد بين نحو الجملة ونحو النص لا يتناسب مع الواقع الفعلي لكونهما متكاملين؛ وذلك لأن النص ما هو إلا مجموعة من الجمل، فكما أن الفونيم وحدة الكلمة، والكلمة وحدة الجملة، فالجملة وحدة النص، ويؤكد ذلك أن توسيع مجال علم اللغة ليشمل النصوص وتوظيفها في الاتصال لا يشكك

---

(١) د. سعيد بحيري: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، القاهرة ١٩٩٧م، ص١٩.

(٢) د. إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، تطبقات لنظرية روبرت ديبوجراند وولفجانج دريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، ص١٠.

(٣) د. محمد خطابي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩١م، ص١٣.

(٤) ينظر مزيد من التفصيل: روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، ص٨٩ – ٩٤ ود. إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص١١.

مطلقًا في أهمية الوحدات اللغوية المعزولة (الفونيمات، والمورفيمات، واللكسيمات، والمركبات الاسمية والجمل)[1]. بل على العكس يجب أن تستمر مثل هذه الدراسات وتقوى حتى تقوم بدور في تشكيل نحو النص؛ ومن ثم لا يسوغ أن تنفصم العلاقة بين نحو الجملة ونحو النص، كما لا يسوغ أن يتداخل العلمان (بمعنى أن يشتمل أحدهما على الآخر)؛ ومن ثمَّ ينظر إلى دراسات نحو الجملة على أنها تمهيد ضروري لدراسة نحو النص؛ ومن ثمَّ فهما متكاملان[2].

ويؤكد هذا الاتجاه (التكامل بينهما) كون نحو النص يشترك مع نحو الجملة في تحليل مواد لغوية ذات صفات مشتركة، منها:

١- أن كلا الاتجاهين يحللان البنية Structure؛ ومن ثمَّ يمكن اقتراح نحو الخطاب من أجل توليد النصوص، وهكذا نستطيع أن نصمم أنموذجًا لنحو واحد يعالج بنية الجملة وبنية النص من خلال توسيع وتطوير النظام الذي يحدد بنية الخطاب.

٢- النصوص مثلها مثل الجمل ذات معنى. لقد أثبت (دي بوجراند ١٩٨٠م) أن العلاقات الدلالية في الجملة يمكن أن تقوم أيضًا بين الجمل في نص ما.

٣- فكما تقوم العلاقات الإحالية بين العناصر في الجملة يمكنها أن تكون ضمن العناصر في جملتين منفصلتين في النص؛ وهذا يستدعي وجود معالجة نحوية واحدة لكلتا الحالتين؛ كما يستدعي ذلك من المؤيدين لنحو الجملة السعي إلى تطوير نموذجهم على أساس تجريبي[3].

ومن جهة أخرى أن السامع عندما يتلقي نصًا ما يستدعي له بنيتين: (داخلية) تعتمد على الوسائل اللغوية التي تربط أواصر مقطع ما بغيره، و(خارجية) تكمن في مراعاة المقام المحيط بالنص؛ ومن ثم فلا فصل بينهما عند المتلقي، ولكن الفصل ضروري بالنسبة للدارس اللساني تأكيدًا على ما يرغب في دراسته وما يدرجه ضمن اهتمامه[4].

فإذا نظرنا إلى النص المعني بتحليله (خطابة الرسول "ﷺ") لاحظنا ضرورة تحليل العناصر الجزئية داخل الجملة أولاً، والمتمثلة في العمد والفضلات والتقديم والتأخير في إطار الجملة؛ ومن ثم يحدد الإعراب موقع الكلمات من الجملة، ثم يُنظَر في علاقة الجمل (بعضها ببعض) داخل النص، والمتمثلة في الوصل والفصل وعلاقتها بما قبلها وبعدها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا يُفصَل بين المتحدث والمتلقي والخطاب؛ ومن ثم يمكن لأية جملة أن تصير نصًا؛ وذلك بوضعها في السياق الفعلي أي ربطها بالمخاطَب والمخاطِب؛ وعلى هذا يمكن انتقالها من بنيتها المحدودة إلى بنية نصية متصلة بسياقها.

وتتعدد العلاقات بين الجملة والجملة داخل النص، فإذا كانت هناك جملة أساسية يكون غيرها من الجمل إما

---

(١) فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص٧.

(٢) السابق نفسه: ص٨ بتصرف.

(٣) مازن الوعر: نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة، مقال من شبكة المعلومات.

(٤) Halliday, M.A.K. and R. Hasan (1976) Cohesion in English, Longman, London, p. 20.

د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ط عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٢م، ص١٠٨.

معطوفًا عليها، أو بدلاً منها، أو بيانًا لها، أو توكيدًا أو تفسيرًا أو تعليلاً. أما موقع الجملة بالنسبة للمفرد فيمكن أن تكون خبرًا أو حالاً أو نعتًا أو بدلاً أو تعليلاً أو تفسيرًا(١).

وقد تقع الجملة بالنسبة لغيرها في الجملة الطويلة جوابًا للقسم أو جوابًا للشرط أو جوابًا للطلب؛ ومن ثم سوف نحرص في مجال التطبيق على إظهار دور نحو النص في التحليل اللغوي للتراكيب النحوية للنص، كما يُظهر ذلك البنية العميقة والسطحية للنص، بالإضافة إلى توضيح التحليل الدلالي له.

مفهوم علم اللغة النصي:

تعددت تعريفات علماء اللغة النصيين لمفهوم هذا المصطلح، وجميعها لا تخرج عن الأشكال اللغوية التي تحكم بناء كل أشكال النص. وأكثرهم بدأ بتعريف النص أولاً، ومن هؤلاء (دي بوجراند) الذي عرَّفه بأنه: «تشكيلة لغوية ذات معنى تستهدف الاتصال، ويضاف إلى ذلك ضرورة صدوره (أي النص) عن مشارك أو أكثر ضمن حدود زمنية معينة. وليس من الضروري أن يتألف النص من الجمل وحدها، فقد يتكون النص من جمل أو كلمات مفردة أو أية مجموعات لغوية تحقق أهداف الاتصال، ومن جهة أخرى فقد يكون بين بعض النصوص من الصلة المتبادلة ما يؤهلها لأن تكون خطابًا Discourse»(٢).

ويظهر من خلال هذا التعريف تفريق (دي بوجراند) بين الخطاب "Discourse" والنص "Text"، حيث يركز أولهما على تحليل اللغة المنطوقة في أنواع الخطاب المختلفة، مثل (المحادثات والمقابلات والتعليقات والخطب) وهو ما يُعرف بتحليل الخطاب "Discourse Analysis". أما ثانيهما النص"Text" فيعمد إلى دراسة نصوص اللغة المكتوبة كـ(المقالات والملاحظات وعلامات الطريق والتقارير)، وهو ما يعرف بتحليل النص "Text Analysis".

غير أنه يجب الأخذ في الاعتبار أن هذا التصنيف ليس قاطعًا، فهناك استعمالات أخرى لهذين المصطلحين، وتحديدًا يمكن استخدام كل من مصطلح الخطاب "Discourse" والنص "Text" بشكل أوسع ليشملا كل الوحدات اللغوية التي تؤدي وظيفة اتصالية محددة، سواء أكانت مكتوبة أم منطوقة.

فقد تناول بعض العلماء الخطاب المنطوق والمكتوب، في حين تناول آخرون النصوص المنطوقة والمكتوبة(٣)؛ ومن ثم يمكن تحديد مفهوم مصطلح علم اللغة النصي على أنه «هو العلم الذي يبحث في سمات النصوص وأنواعها وصور الترابط والانسجام داخلها، ويهدف إلى تحليلها في أدق صورة تمكننا من فهمها وتصنيفها ووضع نحو خاص لها؛ مما يسهم في إنجاح عملية التواصل التي يسعى إليها منتج النص ويشترك فيها متلقيه»(٤)، أو هو «الدراسة اللغوية لبنية النصوص»(١)؛ إذن علم اللغة النصي هو ذلك الفرع من فروع

---

(١) د. حسني عبد الجليل يوسف: إعراب النص، ط١ دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩٧م، ص١٣ – ١٤.

(٢) دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، ص٩٨ – ١٠١، د. إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص٩.

(٣) David Crystal: The Cambridge Encyclopedia of Language, Cambridge University, press 1987, p. 116.

(٤) David Crystal: A Dictionary of Linguistics and Phontics, Basil Blackwell, Oxford, p. 350. Baalbaki, Ramzy: Dictionary of Linguistics Terms, Beirut, 1990, p. 502.

علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص من حيث كونه الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمهـا الترابط أو التماسك ووسائله وأنواعه والإحالة أو المرجعية "Reference" وأنواعهـا والسياق النصـي " Text Context" ودور المشاركين في النص (المرسل والمستقبل). وهذه الدراسة تتضمن النص المنطوق والمكتـوب على حد سواء[٢].

معايير النصية:

وقد أجمل دي بوجراند خصائص النص في تعريفه حيث قال: إنه حدث تواصلي يلزم لكونه نصًا أن تتوفر له سبعة معايير للنصية مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير:

١- السبك Cohesion أو الربط النحوي.
٢- الحبك Coherence أو التماسك الدلالي وترجمها د. تمام حسان بالالتحام.
٣- القصد Intentionality أي هدف النص.
٤- القبول أو المقبولية Acceptability وتتعلق بموقف المتلقي من قبول النص.
٥- الإخبارية أو الإعلام Informativity أي توقع المعلومات الواردة فيه أو عدمه.
٦- المقامية Situationality وتتعلق بمناسبة النص للموقف.
٧- التناص Intertextuality[٣].

وسوف نتعرض لهذه المعايير بشيء من التفصيل على النحو التالي:

أولاً: السبك Cohesion:

وهو يشتمل على الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص كبناء العبارات والجمل واستعمال الضمائر وغيرها من الأشكال البديلة، مثل: خطبته - ﷺ - في أول جمعة جمعها بالمدينة إذ يقول: «... وأوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصي به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكرًا، وإن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه، عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة ...»[٤]، وقد تحقق ذلك من خلال الترابط بين السبك والمعايير النصية الأخرى لتحقيق جودة الاتصال. وينقسم السبك إلى نوعين:

أولهما: السبك النحوي Grammatical Cohesion ويشمل: الإحالة المتبادلة Co-Reference والاستبدال Substitution والحذف Ellipsis والربط Junction.

---

(١) David Crystal: The Cambridge Encyclopedia of Language, p. 116.

(٢) د. صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ٣٦/١.

(٣) دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص١٠٣ - ١٠٤ ود. سعيد بحيري: علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، ص١١١ وما بعدها ود. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص٢٥٢ وفولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص١٦٩ - ١٧٢.

(٤) ابن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف، ١٩٩٠م، ٣٩٥/٢.

وثانيهمـــا: السبك المعجمي Lexical Cohesion ويشتمل على علاقتي التكرار Reiteration والمصاحبة اللغوية أو التضام Collocation[(١)].

ثانيًا: الحبك Coherence[(٢)]:

يعد الحبك من أهم معايير النصية التي اشترطها اللغويون لوصف النص بالترابط والتماسك، ويقـصد به العلاقات المنطقية التصورية التي تجعل النص مترابطًا وإن خلا من الروابط السابق ذكرهـا فـي السبك بنوعيه. ويعتمد الحبك على علاقات داخلية وعناصر مقامية متعالقة يتم بواسطتها فهم الـنص[(٣)]، ويمكـن أن نمثل على ذلك بقول القائل: لما كان الجو جميلاً ذهبنا إلى الشاطئ، فبالرغم من كون المسند إليه في الجملـة الأولى مختلفاً عن المسند إليه في الجملة الثانية إلا أن الجملتين مترابطتان؛ وذلك لاتساق الظروف والـشروط الموطئة لهذا الربط عند المتلقي عادة بين جمال الجو والخروج في نزهة على الشاطئ[(٤)]. وتـشتمل وسـائل الحبك على:

١- العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص، ومن السببية قوله تعـالى: ﴿**وَمَـا خَلَقْـتُ الْجِـنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ (الذاريات/ ٥٦) فالخلق قد تم من أجل غاية وسبب واحد هو عبادة الله سبحانه وتعالى.

٢- معلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف.

٣- السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التـي يعرفهـا النص Text Presented Knowledge من المعرفة السابقة بالعالم[(٥)].

هذان المعياران يعدان أهم المعايير؛ لكونهما الأكثر اتصالاً بالنص من حيـث تماسـكه النحـوي والـدلالي وعلاقاته المنطقية، التي توفر له الانسجام والسبك. وإن كنا سنقتصر في مجال التطبيق على معيـار الـسبك بقسميه (النحوي والمعجمي). إلا أن هناك خمسة معايير جوهرية تتصل بالمنتج والمتلقي ومضمون الرسـالة وقناة التوصيل والسياق المحيط بالرسالة، وسوف نتناولها فيما يلي:

ثالثًا: القصدية Intentionality:

ويعني بها موقف منتج النص لإنتاج نص متماسك ومترابط؛ لكي يتم الوصول إلى هدف مرسوم فـي خطة محددة[(٦)]، ومن ذلك قول القائل: (حسنًا، في أي بلد، أين تسكن؟) فبالرغم من أن العبارة صـيغت فـي

---

(١) ينظر دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص١٠٣، ود. إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد: السابق نفسه، ص١١، وإيناس حسين محمد: الخصائص اللغوية في الخطابة الدينية في العقدين الأخيرين، بحث دكتوراه، الإسكندرية ٢٠٠٣م، ص ١١ – ١٣.

(٢) وقد ترجم إلى (الالتحام، التناسق، التقارن، وقد آثر البحث مصطلح (الحبك) – ينظر دي بوجراند: السابق، ص١٠٣، فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص٩٣، د. إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص١١.

(٣) دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص١٠٣، فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: السابق، ص٩٣.

(٤) د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب، ص٢٦١.

(٥) دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص١٠٣.

(٦) فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص٩٤، ودي بوجراند: النص والخطـاب والإجـراء، ص١٠٣ – ١٠٤.

حديث إلقائي إلا أنها تتضمن هدف المنتج من معرفة عنوان المخاطب، وقد تأتي ذلك من توافر عناصر السبك والحبك[١].

رابعًا: القبول Acceptability:

ويقصد بها موقف مستقبل النص إزاء كون صورة ما من أشكال اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نص توفر فيه عناصر السبك والحبك[٢]، ومثال ذلك التحذير الذي قدمته شركة (بيل) للهواتف إذ يقول: (استدعونا قبل مباشرة الحفر، فقد تعجزون عن ذلك فيما بعد) فالمثال أكثر فعالية عند المتلقي؛ إذ يستنتج منه ما قد يترتب على القيام بالحفر من أضرار جسيمة دون الرجوع إلى الشركة؛ لأن اقتناع المستقبلين للنص سيكون أكثر قوة عند قيامهم بتزويد محتواه بأنفسهم[٣].

خامسًا: رعاية الموقف Situationality:

وتشتمل على العوامل التي تجعل النص ذا صلة بموقف حالي، أو بموقف قابل للاسترجاع[٤]، ومن ذلك قولهم: (تمهل، أطفال في الطريق) فالموقف هنا يشير إلى لافتة وضعت على الطريق مع وجود سهم موجه إلى أحد الشوارع الجانبية، الذي يفهم منه أن هناك أطفالاً يلعبون وقد يجري أحدهم إلى الطريق العام، فيكون المراد إعلام السائقين بوجوب تخفيف السرعة حمايةً للأطفال من خطر التصادم[٥].

سادسًا: الإعلامية Informativity:

ويشار بها إلى ما يحمله النص من المعلومات التي تهم السامع أو القارئ، ويتحقق بها هدف التواصل بين منتج النص ومتلقيه. ولمعيار الإعلامية درجات، حيث يحمل كل نص درجة من الإعلامية معينة يحددها منتجه ومتلقيه معًا[٦].

وقد ظهرت درجة عالية من الإعلامية في التحذير الذي أعلنته شركة (بيل) للهواتف السابق ذكره، وقد تضعف هذه الإعلامية فتؤدي إلى الارتباك والغموض وربما رفض النص[٧].

سابعًا: التناص Intertextuality:

ويعني به العلاقات بين نص ما ونصوص أخرى ذات صلة، تم التعرف إليها بخبرة سابقة. ومن ذلك قول سراج الدين الوراق:

يا لائمي في هواها   أفرطت في اللوم جهلا

---

(١) د. إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص٣٠ – ٣١.

(٢) فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص٩٤، ودي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص١٠٤.

(٣) د. إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص٣١ – ٣٢.

(٤) فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص٩٤، ودي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص١٠٤، د. إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص١٢.

(٥) د. إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص٣٤ – ٣٥ بتصرف.

(٦) دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص١٠٥، ٢٧٥، ٢٧٨ بتصرف.

(٧) د. إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص٣٢ – ٣٣ بتصرف.

لا يعلـــــم الــــــشوق إلا   ولا الـــــــــــــــصبابة إلا

فالقارئ لهذا البيت قد يتشعب فكره في مناح شتى، لا يدرك المراد منه إلا إذا كان على علم بقول الشاعر القديم:

لا يعلم الــشوق إلا مــن يكابــده   ولا الصبابة إلا من يعانيهـــا(١)

وقد تمثلت الخطابة النبوية هذا المعيار أصدق تمثُّل، ومن ذلك اقتباسها آيات القرآن الكريم، والحديث الشريف والأقوال المأثورة وسيبين ذلك بالتفصيل في تحليل الخطب. وفضلاً عن هذه المعايير التأسيسية التي تعين اتصاف تشكيلة لغوية ما بصفة النصية يمكننا تعريف معايير تنظيمية تستعمل لتعين نوعية النص وتقييمه. ومن هذه المعايير التنظيمية الجودة Efficiency، وتنجم جودة النص من استغلاله في الاتصال مع تحقيق أكبر مردود وأقل جهد بحيث تتوافر سهولة معالجة النص، ومنها الفعالية Effectivity، أي شدة وقع النص وتأثيره في المستقبل بحيث يتوافر عمق المعالجة والإسهام القوي في تحقيق هدف المنتج: ومنها أخيرًا الملاءمة Appropriateness التي يقصد بها تناسب مقتضيات الموقف مع درجة انطباق معايير النصية على النص المحلل(٢).

ولا يمكن فهم أي من هذه المعايير السابقة إلا مع أخذ أمور في الحسبان هي: اللغة والعقل والمجتمع والتداولية Pragmatics، فيتحقق الفهم الذي هو توحيد المعلومات الطارئة والمعلومات المختزنة في كيان واحد.

وظيفة علم اللغة النصي:

تتركز وظيفة علم اللغة النصي في مهام:

أولها: وصف النص Text Description، ثانيها: تحليل النص Text Analysis.

ويقصد بوصف النص: توضيح مكونات النص؛ وذلك بتعيين الجملة الأولى فيه، وتوضيح الموضوعات المتناولة في النص، مع بيان الروابط الشكلية والمعنوية الموجودة فيه، وما تؤدي إليه من انسجام وسبك بين متتابعات النص حتى تصير كأنها جملة واحدة، وعندئذ يبدأ تحليل النص الذي لا يقتصر على بيان الروابط الداخلية فقط بل يهدف إلى توضيح الروابط الخارجية أيضًا؛ ومن ثم يظهر دور السياق في تأليف أشتات النص التي تبدو متفرقة فتصبح متجاذبة(٣).

ثالثها: يراعي دور النص في التواصل؛ وذلك من خلال الوقوف على أحوال المنتج والمتلقي للنص.

رابعها: كما أن من الأهداف التي يسعى إليها علم اللغة النصي، والتي لا تقتصر على وصف النصوص وتحليلها؛ فهو ذو هدف أكثر عمومية وشمولا، فمن ناحية يشير إلى جميع أنواع النصوص وأنماطها في السياقات المختلفة، كما أنه من ناحية أخرى يتضمن الإجراءات النظرية والوصفية والتطبيقية ذات الطابع

---

(١) السابق نفسه: ص٣٥ – ٣٦.

(٢) السابق نفسه: ص١٢.

(٣) د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص٢٤٧، ود. صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١/٥٥.

العلمي المحدد(١).

خامسها: كذلك يتطلب تفسير الخطاب وتأويله الوقوف على المستوى النحوي التركيبي والمستوى المعجمي والمستوى الدلالي والمستوى الصوتي والمستوى التنغيمي (مستوى بروز أو نتوء الصوت)، هذا بالإضافة إلى المستوى الإستراتيچي(٢) المتمثل في اختيار إستراتيچية معينة للخطاب، ومن ذلك طرائق وإستراتيچيات معالجة وفهم نصوص الخطابة النبوية.

إرهاصات علم اللغة النصي عند القدماء:

مما لا شك فيه أن فرع علم اللغة النصي نشأ في أحضان المناهج البنيوية والوصفية الغربية، لكن هذا لا يمنع من وجود ملامح لهذا المنهج متناثرة عند القدماء ولاسيما في مؤلفات النحويين والبلاغيين والنقاد والمفسرين.

(١) ومن أوائل الذين أشاروا إلى مصطلحات (التضام Collocation، النظم، البناء، التركيب) في دراسته للنحو (عبد القاهر الجرجاني) وذلك من خلال (نظرية النظم) وحديثه عن الفصل والوصل بين الجمل؛ وهو بذلك تجاوز مجرد الإفادة الجزئية إلى النص، أو إلى منظومة الجمل التي تتفاعل وتترابط فيما بينها مكونة سياقًا أعم منها وأشمل وأكمل، فلا وجود – موضوعيًا – للجملة المستقلة. وهذا هو مستوى الفصاحة المتمثل في القرآن الكريم والشعر وأنواع النثر الفني(٣)، ويمكننا القول بأن علم النظم عند (عبد القاهر) يعني بدراسة التبعيات القواعدية من حيث علاقتها بالمفاهيم، والعلاقات المتصلة بهذه المفاهيم والكلمات؛ لكونه لم ير الفصاحة إلا في تركيب الكلمات بعضها مع بعض وتأليفها في نسق واحد(٤).

وقد خصص (دلائل الإعجاز) أبوابًا كاملة لمفهوم التضام ومقوماته – وهو ما عرف عند علماء اللغة النصيين بمصطلح (السبك) – من مثل: التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والحذف والإضمار، والعطف وأدواته المختلفة ... إلى غير ذلك من الأبواب التي عرفت بمصطلحات المحدثين من مثل: الإحالة والربط والإعلامية وعالم النص وتأثير السياق وإعادة الصياغة ... إلخ(٥).

(٢) أما البلاغيون فقد اهتموا بعرض تفاصيل دقيقة لأبواب (الحقيقة والمجاز) وعلاقاته التي منها: (علاقة التضاد، والسببية، والمسببية، والآلية، والكلية، والجزئية)، وقد اهتم (عبد القاهر الجرجاني) بهذه العلاقات من خلال عرضه لباب المجاز(٦)، وهذه العلاقات هي ما عرفت عند علماء اللغة النصيين بمصطلح علاقات المفاهيم (الحبك Coherence).

(٣) أما النقاد فقد اهتموا بقضية الاقتباس والسرقات (التضمين)، ويعني بالاقتباس ما يستغله الكاتب

---

(١) د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص٢٤٧، ٢٤٨.

(٢) مازن الوعر: نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة.

(٣) ينظر تفصيل الفصل والوصل عند عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م، ص٢٤٣.

(٤) ينظر تفصيل قضية النظم: السابق نفسه، ص٨١ – ٨٣.

(٥) ينظر تفصيل ذلك: السابق نفسه، ص١٠٦، ١٤٦، ٢٢٢.

(٦) ينظر تفصيل ذلك: السابق نفسه، ص٢٩٣ – ٣٠١.

من نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف مستشهدًا به في كتاباته، ومنه قول الحريري: أنا أنبئكم بتأويلــه وأميز صحيح القول من عليله.

كما يقصد بـــ(التضمين) الأخذ من نصوص الآخرين بوجه عام. ومنه قول الحريري:

على أنـــي سأنـــشد عنـــد بيعـــي أضاعوني وأي فتى أضـــاعوا

وهو متأثر فيه بقول العرجي:

أضـــاعوني وأي فتـــى أضـــاعوا ليوم كريهـــة وســـداد ثغــر(1)

(٤) أما المفسرون فنجد منهم (السيوطي) الذي جعل من مظاهر إعجاز القرآن (التماسك أو الالتئــام) وهو الوجه الثالث الذي يعني به (حسن تأليفه، والتئام كلمه، وفصاحته). ووجهه الرابع «مناسبة آياته وســوره وارتباط بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمـــة المبـــاني»(2)، ونلاحـــظ هنـــا مصطلحات التماسك والتلازم (الالتئام)، والمناسبة وجميعها من مصطلحات علم اللغة النصي التي عرفت عند المحدثين. كما تعرض السيوطي لمصطلح (الانسجام Coherence) في قوله: «يكون الكلام، لخلوه من العقــادة منحدرًا كتحدر الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسهل رقة، والقرآن كله كذلك ... وقد جاءت قراءته موزونة بلا قصد لقوة انسجامه»(3).

وهذا المفهوم (للانسجام) عند السيوطي يختص بسهولة الألفاظ ورقتها، وهو يختلف عن مدلول المصطلح عند المحدثين الذي يعني عندهم العلاقات المنطقية والتصورية التي تربط بين التتابعات النصية.

كما ذكر عن (ابن الإصبع) مائة نوع من بدائع القرآن فيها التكرار، ورد العجز على الصدر، وتشابه الأطراف، والإبدال، وحسن النسق ... وغيرها. وهذه تعد من وسائل الترابط(4). وبـــالرغم مـــن أن العـــرب القدماء لم يضعوا نظرية في علم اللغة النصي ولم يصطلحوا عليه في مؤلفاتهم، وإنما جاءت أقوالهم في سياق حديثهم عن دور البلاغة والنحو ومظاهر الإعجاز القرآني ... إلى غير ذلك من الأبواب. إلا أن ملامح هـــذا الدرس الحديث لا يمكن إنكارها وتحتاج إلى دراسة مفصلة(5).

طبيعة النص المحلل:

حرصت على تناول معيار السبك النحوي والمعجمي من خلال تحليل الخطب النبوية لما كان لها مـــن أثر فعال في بناء الدولة الإسلامية ونشر الوعي والثقافة الدينية، في وقت لم يكن فيه معلم للمـــسلمين ســـوى رسول الله – ﷺ –. هذا بالإضافة إلى أن الخطب النبوية قد استوفت القواعد العامة للبناء اللغوي والإيقـــاعي

---

(١) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٩٣م، ٦/١٣٧، ١٤٢، د. إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط٥، بيروت، دار الثقافة ١٩٨٦م، ص٦٢٠.

(٢) السيوطي: الاتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط بيروت ١٤١٨هـــ – ١٩٩٧م، ٣/٢٦١.

(٣) السابق، ٣/٢٥٩.

(٤) السابق نفسه، ٢/٨٠، د. صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١/٨٦ بالهامش.

(٥) ينظر ملامح جهود القدماء عند د. عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٠م، ص٧١ – ٧٢، علم اللغة بين النظرية والتطبيق، ١/٨٦ – ٨٧، ١/١٣٠ – ١٣٣، لسانيات النص، ص٢٧ وما بعدها، الخصائص اللغوية في الخطابة الدينية، ص٨ – ١٠.

والنحوي والدلالي. وكذلك لأهمية الأفكار والاختيارات التي أراد الرسول - ﷺ - توصيلها إلى المستمعين والمتلقِّين من توجيه وإرشاد ووعظ وتبليغ لقواعد الدين وأصوله وفروعه ... إلخ.

وقد عرفت الخطابة بأنها «فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة» هذا التعريف يقوم على عناصر معينة هي:

١- أن يكون الحديث مخاطبة لجمهور من الناس.

٢- أن يكون بطريقة إلقائية، وهذا يعني جهارة الصوت وإبداء الانفعال به، وأيضًا من مكملات هذه الطريقة أن تصحبها إشارات باليد أو بغير اليد، كما يبدي الخطيب انفعالاته بما يقول، فكل ذلك يثير السامعين ويوجه عواطفهم نحوه ويجعلهم أكثر استجابة لرأيه.

٣- أن يكون الحديث مقنعًا بحيث يشتمل على أدلة وبراهين تثبت صحة الفكرة التي يدعو إليها الخطيب، فإذا خلت الخطبة من هذه الأدلة فإنها لا تزيد على أن تكون مجرد إبداء رأي.

٤- أن يتوافر في الخطبة عنصر الاستمالة، وهذا يعني توجيه عواطف السامعين واستجابتهم للرأي الذي تدعو إليه الخطبة؛ لأن السامع قد يقتنع بفكرة ما، ولكن لا يعنيه أن ينفذها أو أن تتحقق من غيره فلا يسعى لتحقيقها، هذا العنصر من أهم عناصر الخطبة لأنه هو الذي يحقق الغرض المطلوب منها[١].

فإذا أردنا تصنيف النص المحلل (الخطابة النبوية) في ضوء معايير تصنيف النصوص عند علماء اللغة النصيين[٢] وجدناها متمثلة في النقاط التالية:

١- المضمون: ويشار به إلى موضوع النص (نص ديني).

٢- الهدف ويشار به إلى الغرض الذي يرمي إليه منتج النص (توجيه ووعظ وإرشاد).

٣- السياق: يشار به إلى كل ما يحيط بالنص من مؤثرات تحكم بناءه وصياغته مثل الأوضاع الاجتماعية للمشاركين في إنتاجه وتلقيه وأدوارهم ومكان وزمان النص.

٤- الشكل ويشير إلى شكل النص المُحلَّل وطبيعته وأركانه، فالخطبة الدينية تتكون من ثلاثة أركان (مقدمة وموضوع وخاتمة)، وتشمل الحمد والثناء لله والصلاة على رسول الله - ﷺ - ثم قراءة آية والتعرض لتفسيرها من خلال الموضوع المشار إليه في نص الآية ثم الدعاء للمسلمين والمسلمات.

ومثال ذلك خطبته - ﷺ - للجمعة الأولى في المدينة إذ يقول: «الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأؤمن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أرسله بالهدى والنور والموعظة، على فترة من الرسل ، ... وأوصيكم بتقوى الله، فإنها خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضَّه على الآخرة، ... »[٣].

---

(١) د. عبد الجليل شلبي: الخطابة وإعداد الخطيب، ط٢، وزارة الأوقاف، القاهرة ١٩٩٢م، ١/١٥ - ١٦.

(٢) لمزيد من التفصيل: د. سعيد بحيري: علم لغة النص - المفاهيم والاتجاهات، ص٦٦ - ٧٠ بتصرف، روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص٤١١ - ٤١٩، وفولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص١٩٩-٢٠٢ بتصرف.

(٣) ينظر نص الخطبة كاملاً: الطبري: في تاريخه، ٢/٣٩٤ - ٣٩٥.

٥- الانفتاح والانغلاق وذلك من وجهين: أولهما الانفتاح من حيث كون الخطب النبوية تعد نصًا مفتوحًا؛ وذلك لكونها موجهة لعدد غير محدد من المتلقيِّن، وقابلة لأن يكون فيها حوار بين النبي - ﷺ - والمستمعين، ومن ذلك خطبته - ﷺ - عند فتح مكة عندما سأل أهل مكة: «ما ترون أنى فاعل بكم؟ قالوا: خيرًا؛ أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء»(١). فقد تعدَّد محاوروها، ومن ثَمَّ فهي نص مفتوح.

ثانيهما: إنها تعد نصًا مغلقًا(٢) لأن المنتج فيها واحد هو الرسول - ﷺ - وغالبًا ما يكون الموضوع محدد فهو الذي يدور في فلكه الخطبة ومن ذلك خطبته - ﷺ - لإعلام الناس بأن الله قد فرض عليهم الجمعة من يومهم هذا إلى أن تقوم الساعة يقول: «ألا أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا الأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصِلُوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة في السر والعلانية، ترزقوا وتؤجروا وتنصروا، واعلموا أن الله - ﷻ - قد افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا، في عامي هذا، في شهري هذا، إلى يوم القيامة، حياتي ومن بعد موتي»(٣).

---

(١) الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق أبو بكر عبد الرازق، ط مكتبة مصر، ١٩٩٤م، ص٩٨.

(٢) وقد فسر د. صلاح فضل مفهوم الانغلاق في النص بمعنى أنه (النص الذي يكتفي بذاته والمكتمل في دلالته) - بلاغة الخطاب وعلم النص، ص٢٣٢.

(٣) الباقلاني: إعجاز القرآن، ص٩٦.

ثانيًا: التطبيق

عناصر السبك النصي:

من المتفق عليه عند علماء اللغة النصيين أن السبك النصي يعد من أهم المعايير النصية؛ وذلك لكونه هو السياج والرابط الذي يجمع بين المتفرقات فيجذب بعضها بعضا فيكون النص؛ ولذلك يصفونه بأنه: «عنصر جوهري في تشكيل النص وتفسيره»(١). والحق أن هذا المفهوم لم يكن بعيدًا عن تناول القدماء، فقد ألمحوا إلى أن الكلمات والجمل يعلق بعضها ببعض حتى تفيد معنى؛ ولذلك ذهبوا إلى أن الكلام لا يكون مفيدًا إذا كان مجتمعًا بعضه مع بعض دون ترابط(٢)؛ لأنه إذا أصبح الكلام خاليًا من السبك أصبح الكلام في حكم الأصوات التي ينعق بها(٣) على حد قول ابن يعيش؛ ولذلك حصر علماء اللغة النصيون أهمية السبك في: «جعل الكلام مفيدًا، وضوح العلاقة في الجملة، عدم اللبس في أداء المقصود، عدم الخلط بين عناصر الجملة، استقرار النص وثباته؛ وذلك بعدم تشتيت الدلالة الواردة في النص»(٤)؛ وبذلك تظهر أهمية السبك في كون كل جملة تملك بعض أشكاله التي تُربَط عادة مع الجملة السابقة أو اللاحقة، وكذلك يجب أن تحتوي كل جملة على رابطة أو أكثر تربطها بما يسبقها أو ما يلحقها(٥).

ويتحقق السبك من خلال عناصره النحوية والمعجمية التي تؤدي إلى اتصاف النص بسمة الاستمرارية أي تعاقب الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تتابعها الزمني، وتنتظم هذه الأحداث تبعًا لمبانيها النحوية ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو (الاعتماد النحوي Grammatical Dependency) ويتحقق في شبكة هرمية ومتداخلة من الأنواع هي: (في الجملة – فيما بين الجمل – في الفقرة أو المقطوعة – فيما بين الفقرات أو المقطوعات – في جمل النص)(٦).

تحتوي عناصر السبك على نوعين: أولاً: عناصر السبك النحوي Grammatical Cohesion ويشمل: (الإحالة Reference – الاستبدال Substitution – الحذف Ellipsis – الربط Junction). وقد أضافت الباحثة معيار التحديد Definiteness؛ اعتمادًا على ذكره عند علماء النصيين المتأخرين(٧).

ثانيًا: عناصر السبك المعجمي Lexical Cohesion ويشمل: (التكرار Repetition – المصاحبة اللغوية (التضام) Collocation). وسوف نتعرض لهذه العناصر بشيء من التفصيل مستدلين عليها بنصوص من الخطابة النبوية.

---

(١) د. سعيد بحيري: علم اللغة النصي، المفاهيم والاتجاهات، ص١٤١.
(٢) د. حماسة عبد اللطيف: بناء الجملة العربية، دار الشروق، مصر، ط١، ١٩٩٦م، ص٨٢.
(٣) عند القدماء: شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، ٨٣/١.
(٤) د. صبحي الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ٧٤/١.
(٥) Halliday and R. Hasan: Cohesion in English, p. 324.
(٦) د. سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، ط١، م١٠، ع١، ٢، يوليو ١٩٩١م، أغسطس ١٩٩١م، ص١٥٤
(٧) ينظر البحث، ص٣١.

أولاً: عناصر السبك النحوي Grammatical Cohesion

١ – الإحالة Reference:

يقصد بها «وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل وإنما تحيل إلى عنصر آخر؛ ولـذا تسمى عناصر محيلة مثل الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة ... إلخ» (١).

وتقسم (الإحالة) عند المحدثين إلى إحالة (خارجية) Exophora، وفيها يحيل عنصر في الـنص إلـى شـيء خارج النص يدركه منتج النص ومتلقيه كلاهما، وأخرى (داخلية) Endophora، فتقع داخل النص حيث تنقسم إلى (إحالة قبلية) Anaphora وفيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر متقـدمًا عليـه. و(إحالـة بعديـة) Cataphora وفيها يحيل العنصر المتقدم إلى عنصر آخر يلحقه(٢).

وقد قُسِمت عناصر الإحالة إلى :

١– شخصية Personal: (أنا، أنت، نحن، هو، هم، ... إلخ).

٢– إشارية Demonstrative: (هذا، هؤلاء، أولئك، ... إلخ).

٣– مقارنة Comparative: (أفضل، اكثر، ... إلخ)(٣).

٤– الموصولات Relative: وقد عدّها د. تمام حسان من عناصر الإحالة مستشهدًا عليها بقولـه تعـالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ**﴾ (الأعراف/ ١٥٧)، فالاسم الموصول (الذي) قد قوى المعنى؛ وذلك بإحالته السابقة إلى (الرسول النبي)؛ لكـون المراد وصف الرسول بأنه مكتوب في التوراة(٤). كما أُحيل إليه بالعائد الـضمير فـي (يجدونـه)؛ وبذلك يكون للموصول إحالتان قبلية وبعدية.

والحق أن العرب لم يكونوا غافلين عن أهمية العناصر الإحالية، ولاسيما الضمائر مذكورة أو محذوفة، إلا أن المقام لا يتسع لعرض جهودهم(٥).

فإذا تأملنا نصوص الخطابة النبوية لاحظنا توفر عناصر الإحالة بأقسامها المختلفة وإليك الأمثلة:

(أ) من خطبته – ﷺ – الأولى في مكة عندما دعا قومه: «إن الرائد لا يكذب أهله، والله لـو كـذبت النـاس جميعًا ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعًا ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصـة،

---

(١) د. محمد خطابي: لسانيات النص، ص١٦ – ١٩.

(٢) Baalbaki, Ramzy Monir: Dictionary of Linguistics Terms, p. 421.

والخصائص اللغوية في الخطابة الدينية، ص٣٨.

(٣) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p. 40.

وعلم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١١٦/١.

(٤) البيان في روائع القرآن، ط عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص٣١ – ٣٢.

(٥) ينظر تفصيل أهمية الضمائر: سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ٨٤/١، ٨٧، ٨٨، السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ٢٨١/٢ وما بعدها، ابن هشام: مغني اللبيب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المدني، ٤٩٨/٢ – ٥٠٠.

وإلى الناس كافة»[1].

نلاحظ توفر الإحالة الداخلية في تاء المتكلم في (غررت – كذبت)، والضمير في (إنـي) إلـى إحالـة قبليـة مرجعيتها إلى (رسول الله)، وإحالة الضمير (كم) إحالة قبلية ومرجعيتها إلى (أهله)، وهناك إحالـة الـضمير المستتر في (يكذب) والظاهر في (أهله) محيلان إحالة قبلية إلى محيل واحد هو (الرائد).

أما إحالة الموصول فقد وجدت في قوله – ﷺ –: «والله الذي لا إله إلا هو» وهي إحالة قبليـة للفـظ الجلالة المتقدم، وكذلك وُجد (هو) الذي يحيل إلى لفظ الجلالة أيضًا.

ومن عناصر السبك المتوفرة في النص الحذف في قوله: «إني لرسول الله إليكم خاصة وإلى النـاس كافة» حيث حذفت الجملة المتصدرة من التركيب الثاني اعتمادًا على ذكرها في التركيب الأول (إني لرسـول الله)، وهذا أدى إلى الإيجاز وحسن السبك مع تحقيق هدف المخاطِب، وهو أنه مرسل من عند الله إلى النـاس كافة وإلى قومه خاصة.

كذلك وجد التكرار التركيبي في تماثل الجمل بين (لو كذبت الناس جميعًا ما كذبتكم)، و(لـو غـررت الناس جميعًا ما غررتكم). والتكرار اللفظي بين (جميعًا) و(جميعًا). كذلك وُجد من عناصر المصاحبة اللغوية علاقة التضاد بين (كافة) و(خاصة)؛ وبذلك تنوعت عناصر الإحالة النحوية، والمعجمية؛ مما أدى إلى سـبك النص وتماسكه.

(ب) قوله – ﷺ – في خطبته في أول جمعة خطبها بالمدينة «فإنه من يصلح ما بينه وبين الله ...؛ يكفـه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه»[2].

- ☆ فعنصر الإشارة (ذلك) قد أحيل إلى محيل قبلي، هو أن من يصلح ما بينه وبـين الله يكفـه الله شـر الناس.
- ☆ أحيل الاسم الموصول (مَنْ) إلى محيل قبلي، وهو الضمير في (إنه)، ومحيـل بعـدي فـي الـضمير المستتر في (يصلح) هو.
- ☆ أحيل بالضمير في (يكفه) إلى محيل قبلي، هو الهاء في (إنه)، ومحيل بعدي يؤكده في (بينـه) ومثلـه أحيل الضمير المستتر (هو) في يقضي إلى لفظ الجلالة المتقدم وهي إحالة قبلية.
- ☆ أحيل الضمير (واو الجماعة) في (يقضون) إلى لفظ (الناس) المتقدم.

كذلك وجد من عناصر الحبك الدلالي علاقة السببية المتمثلة في قوله – ﷺ –: «من يصلح مـا بينـه وبين الله» فتكون النتيجة «يكفه الله ما بينه وبين الناس».

من عناصر السبك النحوي الإحالة بـ(أفعل التفضيل):

كما تعد ألفاظ المقارنة من عناصر الإحالة النحوية، وتنقسم إلى عامة يتفرع منهـا التطـابق (ويـتم باستعمال عناصر مثل: same)، والتشابه (وفيه تستعمل عناصـر مثـل: similar)، والاخـتلاف (باسـتعمال عناصر مثل: other ,otherwise)، وإلى خاصة تتفرع إلى كمية (تتم بعناصر مثل more)، وكيفية (أجمل من،

---

(١) د. أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب، ط المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ١٤٧/١.

(٢) الطبري في تاريخه، ٣٩٥/٢، جمهرة خطب العرب، ١٤٩/١.

جميل مثل ...). أما من منظور السبك فهي لا تختلف عن الضمائر وأسماء الإشارة في كونها نصية، وبناء عليه فهي تقوم، مثل الأنواع المتقدمة لا محالة بوظيفة اتساقية تماسكية(١) ومثال ذلك قوله - ﷺ -: «إن أحسن الحديث كتاب الله، قد أفلح من زينه الله في قلبه، وأدخله في الإسلام بعد الكفر، واختاره على سواه من أحاديث الناس، إنه أصدق الحديث وأبلغه»(٢).

ففضلاً عن توفر عناصر السبك بإحالة الضمير في (زينه واختاره وأصدقه وأبلغه) إحالة قبلية مرجعيتها إلى (الكتاب). وإحالة الهاء في (قلبه وأدخله) ومرجعيتها إلى الذي أسلم (من). فقد وجدت الإحالة باسم التفضيل في قوله - ﷺ -: (أحسن) التي تُحيل إلى ما بعدها (كتاب الله) و(أصدق) المحيلة إلى (الحديث) إحالة بعدية، و(أبلغه) المحيلة إلى (الحديث) من خلال الضمير (الهاء). هذا فضلاً عن وجود علاقة التضاد بين: (الإسلام والكفر)، وكذلك شبه الترادف بين (أصدق وأبلغه) ولاشك في تضافر تلك العوامل في سبك النص وانسجامه.

وقد تعددت الإحالات بأنواعها المختلفة، ومن ذلك خطبة النبي - ﷺ - في أول جمعة بالمدينة إذ يقول: «ألا أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا، وبادروا الأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة في السر والعلانية، تُرزقوا وتُؤجروا وتُنصروا. واعلموا أن الله - ﷻ - قد افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا، في عامي هذا، في شهري هذا، إلى يوم القيامة، حياتي ومن بعد موتي؛ فمن تركها وله إمام، فلا جمع الله له شمله، ولا بارك الله في أمره، ألا ولا حج له ألا ولا صوم له، ألا ولا صدقة له، ألا ولا بر له، ألا ولا يؤم أعرابي مهاجرًا، ألا ولا يؤم فاجر مؤمنًا، إلا أن يقهره سلطان يخاف سيفه أو سوطه»(٣).

فمن عناصر الإحالة الموجودة في النص ما يلي:

أ- إحالة الأسماء غير المحددة (الناس، أعرابي، فاجر، إمام، سلطان).

ب- إحالة الضمير (واو الجماعة) في (توبوا، بادروا، تشغلوا، صلوا). و(كاف الخطاب) في (بكم، ذكركم) وجميعها يحيل إلى (الناس) إحالة قبلية.

ج- إحالة الإشارة في (قد افترض عليكم الجمعة في مقامي هذا، في عامي هذا، في شهري هذا) وهي إحالة قبلية ومرجعيتها إلى (المقام، العام، الشهر) الذي يتحدث فيه رسول الله - ﷺ -، المعلوم لجمهور المخاطبين، والذي يعد إحالة خارجية.

د- إحالة الموصول في قوله: (صلوا الذي بينكم وبين ربكم) وهي إحالة بعدية داخلية راجعة إلى (كثرة الذكر والصدقة في السر والعلن).

هـ- إحالة الاسم الموصوف مثل (الأعمال الصالحة).

و - إحالة الاسم المخصص بالإضافة (حياتي وموتي).

هذا بالإضافة إلى الحبك الدلالي المتمثل في علاقة التضاد بين (السر والعلانية)، (فاجر ومؤمن). وعلاقة شبه

---

(١) د. محمد خطابي: لسانيات النص، ص١٩.

(٢) الباقلاني: إعجاز القرآن، ص٩٦.

(٣) الباقلاني: إعجاز القرآن، ص٩٦، جمهرة خطب العرب، ١٥٣/١.

الترادف في (ترزقوا، تؤجروا). ومن خلال تلك النظرة إلى عناصر الإحالة يمكننا جعل كل ما من شأنه تفسير لسابق أو توضيح للاحق في المتتاليات النصية عنصرًا من عناصر الإحالة داخل النص؛ ومن ثمَّ يعد تعدد صور الإحالة وسيلة من وسائل دعم التماسك النصي، الذي يؤدي إلى التواصل بين المنتج والمستقبل؛ وذلك لما تؤديه من سبك المتتاليات الجملية والمفردات وربطها معًا في إطار موحد يمثله النص.

٢ – الاستبدال Substitution:

يعد الاستبدال من أهم عناصر التماسك والسبك النصي، ويعرفه النصيون بقولهم: «هو إحلال عنصر لغوي مكان عنصر آخر داخل النص»[١]. ويسمى التعبير الأول من التعبيرين (المنقول) المستبدل منه والآخر الذي حل محله المستبدل به وإذا وقع المستبدل منه والمستبدل به في مواقع نصية متوالية فإنهما يقعان – حسب هارفج– في علاقة استبدال نحوية بعضهما ببعض. ويوجد في حالة الاستبدال النحوي بين المستبدل به والمستبدل منه مطابقة إحالية[٢].

بالإضافة إلى ما سبق هناك حقيقة أخرى تؤكد مساهمة الاستبدال في سبك النص وهي استحالة فهم ما يعنيه so أو do أو one كعناصر مستبدلة إلا بالعود إلى ما هي متعلقة به قبليًا، وفي هذا العود يكمن ما يسمى لدى هاليداي ورقية حسن معنى الاستبدال: ينبغي البحث عن الاسم أو الفعل أو القول الذي يملأ هذه الثغرة في النص السابق أي أن المعلومات التي تمكن القارئ من تأويل العنصر الاستبدالي توجد في مكان آخر في النص[٣].

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن القدماء لم يلتفتوا إلى هذا النوع من الاستبدال، وإن كانوا تحدثوا عن الإبدال النحوي، والإبدال بين الحروف بعضها ببعض، والكلمات بعضها ببعض على اختلاف لهجات القبائل[٤]، وهو يختلف عن المفهوم الذي عرف به عند النصيين، وإن كنا لا نعدم شواهده فقد ذكره ابن هشام في سياق الحديث عن لفظ (كذا) حيث يقول: «ترد على ثلاثة أوجه، أحدها: أن تكون كلمتين باقيتين على أصلهما وهما كاف التشبيه وذا الإشارية كقولك: رأيت زيدًا فاضلاً ورأيت عمرًا كذا ...»[٥].

فنلاحظ العنصر المستبدل به (كذا) والمستبدل منه (فاضلاً)، وكأن الكلام "رأيت زيدًا فاضلاً ورأيت عمرًا فاضلاً"، إلا أن ابن هشام لم ينص على اصطلاحه بما عرف به عند المحدثين.

ويقسم علماء اللغة النصيون الاستبدال إلى ثلاثة أقسام:

---

(١) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p. 88.

(٢) فولفانج هانيه من، ديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي، ص٢٧، ٢٨، و زتسيسلاف واورزيناك: مدخل إلى علم النص، ص٦١.

(٣) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p. 88.

ود. محمد خطابي: لسانيات النص، ص٢٠، ٢١.

(٤) انظر الفرق بين الاستبدال عند النصيين ومفهوم الإبدال عند العرب: د. صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ٢٠٠/٢ – ٢٠١.

(٥) ينظر المعاني المختلفة لـ(كذا). مغني اللبيب، ١٨٧/١.

(أ) استبدال اسمي Nominal Substitution: وفيه تستبدل الكلمات "same, ones, one"[1] من أسماء أخرى متقدمة عليها في النص نفسه، ويقابلها في العربية الكلمات "آخر، أخرى، وواحد وواحدة". ويمكن أن يكون اسم الإشارة مستبدلا لعنصر آخر متقدم عليه، ومنها خطبته – ﷺ – في مرض موته: «ألا وإن أحبكم إلى من أخذ مني حقًا إن كان له، وحللني فلقيت ربي وأنا طيب النفس وقد أرى أن هذا غير مغن عني حتى أقوم فيكم مرارا»[2]، فقد استبدل اسم الإشارة من المستبدل منه الجملة المتقدمة عليه (إن أحبكم ... طيب النفس). ومن اللافت للنظر هنا وجود تداخل بين الإحالة والاستبدال في (هذا)؛ فهو عنصر مستبدل به كما أنه من عناصر الإحالة؛ ومن ثمَّ فهناك بعض حالات السبك النصي يمكن تفسيرها بوسيلتين من وسائل السبك في آن واحد إذا تداخلت سمات كل منهما مع الأخرى. إلا أن هناك فرقًا بين الاستبدال والإحالة، فالاستبدال لا يقع إلا داخل النص على حين تقع الإحالة داخل النص وخارجه، والاستبدال يعد علاقة على المستويين النحوي والمعجمي، بينما الإحالة تعد علاقة على المستوى الدلالي، هذا بالإضافة إلى أن العناصر المستبدلة يشترط اشتراكها فيما بينها في البنية الوظيفية على حين لا يشترط ذلك في الإحالة[3].

(ب) استبدال فعلي Verbal Substitution: وفيه يحل فعل محل فعل آخر متقدم عليه، ويمثله في الإنجليزية (do) بصيغه المختلفة، وفي العربية مادة (فعل) بصيغتها المختلفة، ومنه قوله – ﷺ – في خطبة الوداع: «لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدًا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن ...»[4]. فالعنصر المستبدل به (فعل) قد حل محل الأفعال الثلاثة السابقة عليه (يوطئن – يدخلن – يأتين). هذا فضلاً عن توفر عناصر الإحالة من خلال مرجعية الضمير المخاطب في (فرشكم – غيركم – بيوتكم ...) محيلة إلى الاسم الظاهر (الناس). هذا بالإضافة إلى بلاغة الإيجاز والقصر في استعمال النفي والاستثناء وما أفاده من تخصيص.

(ج) الاستبدال العباري Clausal Substitution: وفيه يتم إحلال عنصر لغوي محل عبارة داخل النص بشرط أن يتضمن العنصر المستبدل به محتوى العبارة المستبدل منها[5]. وتمثله في الإنجليزية الكلمات so, not، ومنه قوله – ﷺ – في خطبته الأولى بالمدينة: «فمن استطاع أن يقي وجهه من النار، ولو بشق من تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة»[6]. فالعنصر (فليفعل) حل محل الجملة المتقدمة عليه وكأن الأصل (فَلْيَقِ وجهه من النار، ولو بشق تمرة) وأكد ذلك الجملة الواقعة بعدها (من لم يجد فبكلمة طيبة) أي: فليق وجهه بكلمة طيبة؛ لأن الكلمة الطيبة صدقة.

---

(١) لسانيات النص، ص٢٠.

(٢) تاريخ الطبري، ٣/١٨٩ – ١٩٠، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٨.

(٣) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p. 89.

والخصائص اللغوية في الخطابة الدينية في العقدين الأخيرين، ص٤٨ وما بعدها.

(٤) إعجاز القرآن للباقلاني، ص٩٧، تاريخ الطبري، ٣/١٥١، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٧.

(٥) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p. 130.

(٦) جمهرة خطب العرب، ١/١٤٨.

فهناك تداخل بين الاستبدال والحذف، فمن الباحثين من جمع بينهما، ومنهم من فصل(١)؛ ولذلك جاء الحديث عن الاستبدال مجملاً تارة ومفصلاً تارة أخرى. ومهما يكن من أمر فهذا الخلاف لا يقلل من أهميته في السبك النصي حيث يدعم عملية السبك النحوي داخل النص، إذ يقوم العنصر المستبدل به بالدور الذي يؤديه العنصر المستبدل منه، وهذه الاستمرارية في الأدوار في سياق البناء اللغوي للنص تمنحه قوة السبك.

٣- الحــــذف Ellipsis:

يندرج الحذف ضمن عناصر السبك النحوي، وترد أهميته بعد الإحالة والاستبدال، وإن كان أكثر وقوعًا في اللغة؛ حيث يميل المستعملون لإسقاط بعض العناصر من الكلام اعتمادًا على فهم المخاطب تارة ووضوح قرائن السياق تارة أخرى(٢). وفيه يحذف عنصر أو أكثر من كلام تالٍ اعتمادًا على ذكر هذا العنصر في كلام سابق. ويعرفه علماء اللغة النصيون بأنه: «اعتداد بالمبنى العدمي أو ما يسمونه Zero Morpheme، فالبنيات السطحية في النصوص غير مكتملة غالبًا بعكس ما قد يبدو لمستعمل اللغة العادي»، ومنه قوله تعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ** ...﴾ (آل عمران/ ١٨) فلابد من فهم (وشهد الملائكة وشهد أولوا العلم) بدليل ما في آخر الآية من قوله تعالى: ﴿**لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾، ولولا هذا الفهم لجعلنا الملائكة وأولي العلم آلهة مع الله سبحانه وتعالى، وهذا إفساد لدلالة النص(٣).

ويشترط في الحذف إحاطة متلقي النص بمكونات السياق اللغوي والاجتماعي المصاحب له؛ ليتمكن من تقدير العنصر المحذوف تقديرًا صائبًا. كما يشترط أن يكون العنصر المحذوف من نفس مادة المذكور قبلاً؛ ومن ثمَّ عده بعض النصيين متداخلاً مع الإحالة القبلية إلا أنَّ ذلك يكون بعنصر صفري(٤)، وكذلك اشترطوا أيضًا وجود الدليل على المحذوف(٥).

وقد تعددت العناصر المحذوفة في خطب رسول الله - ﷺ - فنجده قد حذف الحرف والكلمة (اسمًا أو فعلاً) والجملة والعبارة ... إلخ، وكان في ذلك - ﷺ - ممثلاً البلاغة النبوية والفصاحة العربية في الإيجاز والاختصار، وإليك الأمثلة:

١- خطبته - ﷺ - في أول جمعة جمعها بالمدينة: «خذوا بحظكم، ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله؛ ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين»(٦). فقد حُذِفَت (اللام) من (يعلم) الثانية اعتمادًا على ذكرها أولاً.

٢- قوله - ﷺ - في خطبته يوم فتح مكة: «يا معشر قريش (أو يا أهل مكة) ما ترون أني فاعل بكم؟

---

(١) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p.88 - 141.
ود. تمام حسان: النص والخطاب والإجراء، ص٤٣٠ ود. صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ١٩٩/٢ - ٢٠١.

(٢) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص١٤٦، ٢٤٣، طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.ت، ص١٤٤ - ١٤٦.

(٣) د. تمام حسان: النص والخطاب والإجراء، ص٣٤.

(٤) لسانيات النص، ص٢١ - ٢٢.

(٥) ينظر تفصيل ذلك عند د. صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١٩٢/٢.

(٦) تاريخ الطبري، ٣٩٥/٢، جمهرة خطب العرب، ١٤٩/١.

قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء»[1]. فقد حذف لفظ (فاعل) من العبارة (قالوا: خيرًا) والتقدير (فاعل خيرًا)، والذي أجاز ذلك ذكره سابقًا. كما أن هناك عنصرًا آخر حُذِفَ من الجملة، وهو (أنت) من جملة (أخ كريم) أي (أنت أخ كريم)؛ والذي دل على ذلك سياق الكلام. وقد أكد علماء اللغة النصيون كثرة وقوع الحذف في سياق الاستفهام حتى قيل: إنه الأصل[2].

٣- قوله - ﷺ - في خطبة حجة الوداع: «أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، ولا يَحِلُّ لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد»[3]. فقد حذف لفظ (أخذ) من قوله - ﷺ -: (لا يحل لامرئ مال أخيه) والمراد (أخذ مال أخيه)؛ لأن المال لا يوصف بالحل والحرمة، وإنما المراد غصبه أو أخذه بغير وجه حق. كما أن هناك حذفًا عباريًا من جملة (اللهم اشهد) والتقدير (اللهم اشهد أني قد بلغت).

٤- قوله - ﷺ - في خطبة الوداع: «وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! قالوا: نعم، قال: فليبلغ الشاهد الغائب»[4]. فالعنصر الفعلي قد حذف من عبارة (قالوا: نعم) والمراد (نعم بلغت)، كما حُذِفَ شبه الجملة (منكم) من عبارة (فليبلغ الشاهد الغائب)، والتعبير بتمامه (فليبلغ الشاهد منكم الغائب)، ومثله حذف شبه الجملة من قوله - ﷺ -: «ألا وإنَّ أحبكم إلي من أخذ مني حقًا - إن كان له - وحللني، فلقيت ربي وأنا طيب النفس»[5]. فقد حذف شبه الجملة من (حللني)؛ فيكون النص بتمامه (حللني منه) اعتمادًا على قوله - ﷺ - (أخذ مني حقًا)، وهذا هو دليل الحذف.

٥- قوله - ﷺ - في أول خطبة له بمكة عندما دعا قومه: «والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة»[6]. فالعنصر المحذوف هنا جملة جواب القسم من قوله: (إلى الناس كافة)، فالنص بتمامه (إني لرسول الله إلى الناس كافة)، وقد أجازه ذكر جواب القسم سابقًا.

ومن خلال أمثلة الخطب السابقة يتبين أن السبك في الحذف يقوم على محورين أساسيين:

أولهما: التكرار لكون المحذوف يشتق من مادة المذكور غالبًا أو من معناه أو مما يتعلق به. ثانيهما: المرجعية في كون المحذوف غالبًا يقع في التركيب الثاني، ويحيل بمرجعيته إلى ما سبق ذكره، فهي مرجعية قبلية كثيرًا وبعدية قليلاً، ولاشك أن هاتين الوسيلتين من وسائل السبك النصي[7].

---

(١) إعجاز القرآن، ص٩٨، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٤.

(٢) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p.144 - 145.
لسانيات النص، ص٢١ - ٢٢.

(٣) إعجاز القرآن، ص٩٧، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٧.

(٤) السابقان نفساهما، ص٩٧، ١/١٥٧.

(٥) تاريخ الطبري، ٣/١٨٩ - ١٩٠، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٨.

(٦) جمهرة خطب العرب، ١/١٤٧.

(٧) د. صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ٢/٢٢١.

وتظهر أهمية الحذف أيضًا من خلال اشتراك تراكيب ظاهر النص في مكوناته البنيوية، ويعتمد في ذلك على الإشارات اللاحقة، حيث ترد البنية بتمامها قبل ورود البنية التي وقع فيها الحذف. وينبغي أن يكون بالإمكان استرجاع البنية الكاملة في مثل هذه الحالات[١]؛ ليتحقق للمتلقي الإفادة الكاملة من فهم النص بتمامه لإنجاح عملية التواصل بينه وبين المرسل.

٤ – الربط Junction:

لما كان النص مجموعة من الجمل المتتالية المتعاقبة أفقيًا، وجب أن تكون هذه الجمل مترابطة فيما بينها حتى تصير نصًا متماسكًا، وهذه الروابط تتنوع عند علماء اللغة النصيين إلى أربعة أقسام:

أ- إضافي Additive: ويمثله الأداتان (و، أو)، والتعبيرات (بالمثل، أعني، كذلك، فضلاً عن ذلك، بالإضافة إلى ذلك، مثلاً، نحو)، وهذه الروابط تضيف معنى التالي إلى السابق، وقد أطلق عليه د. تمام حسان (الربط الجمعي) منعًا للبس بينه وبين مصطلح الإضافة في العربية، كما فصل بينه وبين التخيير Disjunction، والذي من أدواته (or either - else - or ... إلخ)، ويمثلها في العربية (أو، إما)[٢].

ب- العكسي Adversative: ويفيد أن الجملة التابعة مخالفة للمتقدمة، ويمثله في الإنجليزية (but, yet) وتعابير (nevertheless, however). ويمثله في العربية حرف الاستدراك (لكن وأخواتها) (بيد أن، غير أن، وأما)، والتعبيرات (خلاف ذلك، وعلى العكس، وفي المقابل ... إلخ).

ج- السببي Casual: ويراد به الربط المنطقي بين جملتين أو أكثر، ويمثله العناصر (لذلك، من أجل، لأن، ل، لكي)، وقد عرفه بعض الباحثين بـ(الاتباع) وآخرين[٣] بـ(التفريع) Subordination.

د- الزمني Temporal: هو علاقة بين جملتين متتابعتين زمنيًا، ويمثلها في الإنجليزية لفظ (Then)[٤]. ويمثلها في العربية الأدوات (فـ، ثم، و، بعد، قبل، منذ، كلما، بينما في حين ...)، ونلاحظ من خلال عرض النصيين للروابط النصية أنها تشتمل على أدوات رابطة وتعبيرات تؤدي مؤدي هذه الأدوات وإن كانت ليست منها، والأمر في العربية يختلف؛ فعندنا حروف العطف هي الروابط الحرفية، وما عداها تعد عبارات تدخل في كونها نتيجة للجملة السابقة، وهذه تسمي (أنماط رابطة).

وهناك تصنيف آخر لعلماء اللغة النصيين يتمثل في تقسيمه إلى ربط نسقي Coordinatating Junction وربط اتباعي Subordinating Junction، ويشار بالنوع الأول إلى حالات الربط بواسطة كلمات يشترك طرفا العطف فيها – المعطوف والمعطوف عليه – في الرتبة ويمثلها حالات الربط بالواو و(لكن وبل ... إلخ) من تلك الروابط، أما النوع الآخر فيشار به إلى حالات الربط التي يتبع أحد طرفي العطف فيها

---

(١) د. إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص١٠١.

(٢) د. تمام حسان: النص والخطاب والإجراء، ص٣٥.

(٣) د. تمام حسان: السابق نفسه، د. إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص١٠٧.

(٤) لسانيات النص، ص٢٣ – ٢٤، د. صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ٢٥٩/١.

الطرف الآخر ولكنهما لا يشتركان في الرتبة، ويمثلها الربط بالكلمات (ومن ثمَّ، ولذا، ولذلك ... إلخ)(١).
ويمتاز الربط عن باقي عناصر التماسك بكونه لا يبحث عن مرجعية في السابق عليه أو اللاحق له مثلما كان الحال في الإحالة، أو يحتاج إلى تقدير محذوف حتى تكتمل سلسلة المتتابعات النصية. وإنما تقوم علاقة الربط أصلاً على أدوات تجمع بين جملتين في المتتالية النصية لإفادة التماسك بينهما. وهذه العلاقات متنوعة؛ ومن ثم نص المحدثون على صعوبة حصر أدوات الربط في لغة ما(٢). إلا أن الأمر يختلف في العربية؛ لكون أدوات الربط اللفظية محدودة ويمكن حصرها في أي خطاب؛ ومن ثمَّ سنتناول بعض نصوص الخطابة النبوية مبينين أثر تلك الروابط في السبك النصي. هذا بالإضافة إلى أنه يوجد في العربية ربط بدون الأداة وهو ما يعرف بالربط الإسنادي (المعنوي)، وسنمثل له بعلاقتي النعت والإسناد، وإليك النصوص.

أولاً: الربط اللفظي:

(١) خطبته – ﷺ – التي خطبها بمكة حين دعا قومه إذ يقول: «والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتُجزونّ بالإحسان إحسانًا وبالسوء سوءًا، وإنها لجنة أبدًا أو لنار أبدًا»(٣)، وخطبته – ﷺ – في حجة الوداع إذ يقول: «من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»(٤).

فبتأمل النص الأول يتبين رابط الواو في الجمع بين جمل جواب القسم الثلاث (لتبعثن، لتحاسبن، لتُجزونّ)، وهن معطوفات على جملة جواب القسم الأولى: (لتموتن كما تنامون). كما جمعت (الواو) بين المتضادين في العمل والعقاب (بالإحسان إحسانًا وبالسوء سوءًا)، وكذلك جاءت (أو) التخييرية لتفيد أن نهاية الإنسان إما الجنة وإما النار تبعًا لعمله؛ وذلك في قوله: (وإنها لجنة أبدًا أو لنار أبدًا)؛ وبذلك تكون (الواو) قد أفادت المشاركة بين المتتاليات. على حين دلت (أو) على التخيير، وكلاهما أدى إلى ربط الجمل بعضها ببعض؛ ومن ثمَّ تحقق السبك.

أما في النص الثاني فجاء الرابط (أو) لمعنى الجمع المطلق، وهي في ذلك(٥) تؤدي مؤدي الواو في (الادعاء لغير أبيه أو الموالاة لغير وليه)، وكلاهما يؤديان معنًى واحدًا، ثم جاء رابط الفاء ليبين نتيجة ما يترتب على هذا العمل، وهو استحقاق اللعنة من الله والملائكة والناس؛ وذلك من خلال تتابع المعطوفات بـ(الواو) والجمع بينها لإفادة دلالة المشاركة؛ وبذلك توافرت أنواع الروابط المختلفة في النص (الواو – الفاء – أو)، كما تنوعت الدلالات التي أفادتها؛ ومن ثمَّ تعد هذه الروابط عناصر بنيوية ودلالية لما لها من أثر بالغ في سبك النص والتحام أجزائه وترابط جمله.

(٢) خطبته – ﷺ – يوم أحد إذ يقول: «أيها الناس أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه، من العمل

---

(١) Baalbaki, Monir: Dictionary of Linguistics Terms, p. 126.
والخصائص اللغوية في الخطابة الدينية في العقدين الأخيرين، ص٦٨.
(٢) Halliday & R. Hasan: Cohesion in English, p.242 - 243.
(٣) جمهرة خطب العرب، ١٤٧/١.
(٤) تاريخ الطبري، ١٥١/٣، جمهرة خطب العرب، ١٥٨/١.
(٥) ينظر معاني (أو) ابن هشام: مغني اللبيب، ٦٢/١.

بطاعته، والتناهي عن محارمه، ثم إنكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه، ثم وطن نفسه على الصبر واليقين، والجد والنشاط، فإن جهاد العدو شديد كربه، قليل من يصبر عليه إلا من عزم له على رشده»(١).

نلاحظ وجود رابط (الواو) وجمعه بين المتتاليات النصية في (العمل بطاعته، والتناهي عن معصيته)؛ فبالرغم من المقابلة إلا أن المراد منهما شيء واحد هو صلاح العباد المتحقق في طاعة الله وما يستلزمها من البعد عن معصيته. كما ورد الرابط (ثم) بعده مباشرة؛ ليدل على الانتقال الزمني من شيء إلى آخر في إدراك العبد لما حوله من المتع، وما يتبع ذلك من توطين نفسه على الصبر واليقين والجد والنشاط وما يلزم ذلك من جلدٍ لمجاهدة الشيطان؛ لكونها لا تتحقق إلا لمن أوتي سبل الرشد والفلاح، وقد تبين ذلك من خلال الربط بالفاء وما لها من معنى الترتيب والتعقيب(٢).

(٣) خطبته – ﷺ – في حجة الوداع إذ يقول: «فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ... أيها الناس: إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا ليواطئوا عدة ما حرم الله»(٣)، وقوله: «واعملوا لما بعد اليوم فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس»(٤).

فقد توفرت في النص عدة أشكال من الروابط النصية السببية منها:

أ- (الفاء) في الجمع بين الشرط وجوابه فيما وجّهه – ﷺ – من الأمر بضرورة التزام الأمانة ووجوب أدائها إلى من ائتمنه.

ب- (لام التعليل) في جمعها بين السبب والغاية في بيان موقف أهل الجاهلية في عملهم بـ(النسيء) حيث كانوا يبادلون بين الأشهر وذلك تحايل منهم على استمرار القتال خلال الأشهر الحرم؛ ولذلك يبين لهم المصطفى أن النسيء زيادة في الكفر وأن الزمن قد استدار فعليهم اتباع الترتيب الزمني الطبيعي، وقد ظهر ذلك من خلال الربط بالواو بين الجمل المتعاطفة. وكذلك اللام في (ليواطئوا عدة ما حرم الله).

ج- ففضلاً عن توفر الروابط الإضافية والتعاقبية من (الواو والفاء) في النص الثاني، نلاحظ وجود الرابط (بعد)؛ وما له من دلالة الزمن المتمثلة في كون الإنسان يعمل لما بعد الموت. وإن كانت العربية لا تعد هذه من الروابط، وإنما تجعلها من الظروف إلا أنها قد أفادت الجمع بين الجملتين المتقدمة والتالية لها وتوضيح ما بينهما من ترتيب زمني.

(٤) خطبته – ﷺ – في حجة الوداع إذ يقول: «وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية ... أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى

---

(١) جمهرة خطب العرب، ١/١٤٩، ١٥٠.

(٢) ينظر معاني (الفاء) ابن هشام: مغني اللبيب، ١/١٦١، ١٦٢.

(٣) إعجاز القرآن، ص٩٧، تاريخ الطبري، ٣/١٥١، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٨.

(٤) تاريخ الطبري، ٢/٣٩٥، جمهرة خطب العرب، ١/١٤٩.

ذلك مما تحقرون من أعمالكم»[١].

فقد توافر في النص السابق أمثلة للربط التعاكسي وذلك من خلال الأداة (غيـر)؛ إذ بينـت أن جميـع مـآثر الجاهلية موضوعة إلا خدمة البيت وسقاية الحجيج، فهما من الخصال المحمودة التي حرص عليهـا الإسـلام ودعا إليها، والتعاكسي هنا بمعنى أن الجملتين متخالفتان، فالأولى تحقر وتستبعد كل مآثر الجاهلية، أما الثانية فتمجد وتعظم منها السدانة والسقاية.

أما الأداة (لكن) في النص الثاني فقد بينت أن الشيطان بالرغم من يأسه أن يعبد في مكة إلا أنه قـد ارتـضى منهم (أهل مكة) اقترافهم الآثام ولو في محقرات الذنوب؛ فيكون المراد تنبيههم على ضرورة الابتعـاد عـن الصغائر والمحقرات من الذنوب؛ لأن ذلك مدخل من مداخل الشيطان.

ونستنتج من خلال التحليل للنصوص السابقة أن أدوات الربط في العربية تختلف شيئًا ما عنها عند النـصيين، فلاشك في أهميتها في سبك النص شكليًا، وقد تحقق ذلك من خلال الأدوات المتنوعة بين (الواو والفـاء وثـم وأو)، أو من خلال الربط المنطقي بين السبب والنتيجة والممثل له بلام التعليل والفاء الواقعـة فـي جـواب الشرط أو الرابطة بين المبتدأ والخبر إذا كان المبتدأ بمعنى الاسم الموصول. وهذا لا يمنع من وجـود أمثلـة كثيرة تُربَط ربطًا منطقيًا (بدون الأداة)، حيث يقوم المتلقي بتفسير النص تبعًا لمتطلبات الـسياق. كمـا وجـد الرابط الاستدراكي وما يؤديه من جمع بين المتخالفين.

وقد حاول بعض الباحثين النصيين حصر الدلالات التي تفيدها عناصر الربط في السبك، فحـضور الـروابط مقيد بالخلاف بين الجملتين أو المقطعين المتصلين أو المتباعدين – ومصطلح الخـلاف يجمـع عـددًا مـن الوجوه:

- ☆ تعاقب في الذكر (و / أو).
- ☆ تعاقب على أساس السببية: النتيجة تعقب السبب.
- ☆ تعاقب على أساس إضافة عنصر إخباري جديد.
- ☆ تعاقب على أساس الترديد أو التذكير.
- ☆ تعاقب يجمع نظريًا هذه الوجوه كلها أو بعضها، أو بعضها مع غيرها.
- ☆ تعاقب على أساس البيان وهو أمر يكثر في الجمل الاعتراضية المفسرة[٢]. ويلخـص البحـث هـذه الوجوه في قاعدة مضمونها أن كل جملتين متتاليتين في النص، ثانيهما تخالف الأولى، ترتبطان بأداة ربط.

ثانياً: الربط المعنوي:

(أ) النعــت:

يعد القدماء النعت من الروابط المعنوية، فبالرغم من أنه لا يعتمد على رابط ملفوظ يجمع بين النعـت

---

(١) تاريخ الطبري، ٢/١٥٠، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٨.

(٢) الأزهر الزناد: نسيج النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م، ص٥٦، ٥٧، د. صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١/٢٦٣.

والمنعوت، إلا أن الربط بينهما متحققٌ في علاقة الإسناد الذهنية الجامعة بينهما، والتي تجعل الاسم بمنزلة الجزء من الأول؛ ولذلك يوجد بين العنصرين من شدة السبك والالتحام ما يوجد بين المسند والمسند إليه، والتوكيد والمؤكد، والمضاف والمضاف إليه. ومنه قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا**﴾ (لقمان ٧). فالجملتان (كأن لم يسمعها، كأن في أذنيه وقرًا) نعت لما قبلهما وبينهما من شدة السبك ما لم يحتج إلى رابط لفظي، وهذا ما عرف عند القدماء (بكمال الاتصال)(١).

وقد زعم أحد الباحثين المحدثين أن النصيين لم يجعلوا النعت من عناصر الإحالة(٢)، على حين اقتصروا على الاستبدال والعطف. وهذا زعم غير متحقق؛ لكون النصيين قد ذكروا (الإحالة بالتبعية) ضمن عناصر الإحالة. والتبعية تشمل (العطف والنعت والتوكيد والبدل). ومن هؤلاء زتسيسلاف واورزيناك(٣).

أما القدماء فقد جعلوه من عناصر الربط؛ وملخص أقوالهم: «إن النعت مثل المنعوت لأنهما كالاسم الواحد» على حد تعبير سيبويه(٤)، فهو - أي التابع - دال على معنى في المتبوع أو متعلق به، بل متمم له، ومكمل له. والنعت كما ذكر ابن الناظم «إنما يجيء لتكميل المنعوت»(٥). والأمر يزداد ارتباطًا في نعت الجملة؛ وذلك لكونه لا يكتفي فيه بالرابط المعنوي، وإنما يتطلب رابطًا لفظيًا هو الضمير في جملة النعت، ووجوب مرجعيته إلى المنعوت؛ ومن ثمَّ عده (ابن هشام) من روابط الجملة(٦). وسوف نتبين أهميته من خلال تحليل بعض الخطب، وإليك الأمثلة:

من خطبته - ﷺ - في الاستسقاء قوله: «اللهم اسقنا غيثًا مغيثا، مريئًا هنيئًا مريعًا، سحًا سجالاً، غدقًا طبقًا، ديما دررًا، تحيي به الأرض، وتنبت به الزرع، وتدر به الضرع، واجعله سُقيًا نافعة، عاجلاً غير رائث»(٧).

فبتأمل هذا النص يتبين اشتماله على نوعين من النعت:

أولهما: النعت المفرد وقد بين صفات المنعوت، فالرسول - ﷺ - يطلب غيثًا مغيثًا نافعًا مشبعًا ذُلالاً كثيرًا كافيًا للناس والأنعام، وهذه نعوت ارتبطت مع منعوتها برابط الإسناد، فصار (النعت والمنعوت كالكلمة الواحدة)؛ ومن ثمَّ لم يحتج إلى الروابط اللفظية؛ وهكذا تبين شدة التماسك بينهما.

ثانيهما: نعت الجملة في (تحيي به الأرض، وتنبت به الزرع، وتدر به الضرع) ووجود الرابط (الضمير) فيها ومرجعيته إلى (الغيث). ونلاحظ التكامل بين الجملتين الأوليتين والترتيب المتحقق على إحياء الأرض وإنبات الزرع، وما يترتب على ذلك من إشباع للأنعام فيدر به الضرع؛ وهكذا تحقق السبك من خلال توافر عناصر الربط اللفظي والمعنوي.

وهكذا تكون (التبعية) بوجه عام من أنواع الإحالات النصية، ويمكن أن تبحث الإحالة فيها من خلال جانبين

---

(١) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص٢٢٨، ٢٢٩.

(٢) د. صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ٢٦٦/١.

(٣) د. سعيد بحيري: مدخل إلى علم النص، ص٦٩ - ٧٠.

(٤) سيبويه: الكتاب، ٤٢١/١ - ٤٢٢.

(٥) ابن الناظم: شرح الألفية، تحقيق د. عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، د.ت، ص٤٩٠-٤٩١.

(٦) مغني اللبيب، ٥٠٣/٢.

(٧) جمهرة خطب العرب، ١٥٥/١.

على الأقل. فمن جانب يتعلق الأمر بالترابط المعنوي بين النعت والمنعوت في الدلالة. ومن جانب آخر لـزوم المطابقة بينهما في النوع والعدد والإعراب، ولاسيما في النعت المفرد؛ وهكذا تتحقق الإحالة بالتبعية معنًى ولفظًا.

(ب) الإسنـــاد:

لما كان السبك بين العناصر النصية يعني التحامها بحيث لا يستغنى أول العناصر عن ثانيها والعكس صحيح؛ عُدَّ الإسناد من أوثق أنواع السبك؛ وذلك للرابط المعنوي الجامع بين العنصرين المسندين. وإن كـان هذا الإسناد يقع في الجملة إلا أنه يقع أيضًا بين الجمل في المتتاليات النصية. وقد أشار علماء اللغة النـصيون إلى هذا النوع من الترابط الدلالي النحوي، حيث قسموا الجملة إلى (مسند إليه ومسند)، فأطلقوا على أولهمـا الموضوع (المسند إليه) Topic، وهو المعلومة المذكورة سلفًا في النص. أما المحمـول (المسند) أو الخبـر Predicate، فهو المعلومة الجديدة في النص[١].

ومثله قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ (الرحمن/ ١-٤)، فالمسند إليه هو الرحمن سبحانه وتعالى، والمسندات تتمثل في (علم، خلق، علمه). وهكذا نلاحظ شدة السبك بين هذين العنصرين مع استمرارهما عبر التتابعات النصية؛ وبذلك عد النصيون[٢] الإسناد خاصية دلالية تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى، ومن ذلك قوله – ﷺ – في خطبة يوم أحد: «فإن جهاد العدو شديد كربه، قليل من يصبر عليه إلا من عزم له على رشده»[٣].

فالمسند في النص السابق جاء جملة؛ فارتبط برابطين رابط الإسناد الذهني ورابط الضمير (الهاء) في جملة المسند والمطابق للمسند إليه في النوع والعدد، وهذه كلها روابط توثق العلاقة بين ركني الإسـناد مما أفاد السبك والانسجام.

٥ – التحديد Definiteness:

عد بعض النصيين التعريف والتنكير من عناصر السبك النحوي، حيث يعمد المخاطب إلى اسـتعمال مورفيمات معينة في حالة التعريف تفيد أن هذا الاسم قد سبق ذكره، على حين يعد اسـتعمال أداة التنكيـر ملائمًا لمعلومات لاحقة لم يرد ذكرها بعد[٤]. وقد مثلوا لذلك بقولهم: (كان هناك في قديم الزمان فتـاة، الفتـاة كانت جميلة) فـ(فتاة) النكرة تشير إلى معلومة لاحقة، يتوقع خلالها المتلقي أن يخبر أكثر عن تلك الفتاة. أمـا (الفتاة) المعرفة فهي تشير إلى أن هذا الاسم قد ذكر سابقًا[٥]؛ ومن ثمَّ فهـذه الظـاهرة ترجـع فـي أذهـان المستمعين إلى ما هو مركوز فيها من المعلوم والمجهول؛ ولذلك كان هذا العنصر النحوي يكاد يكون واحـدًا

---

(١) د. صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١/٧٢.

(٢) د. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص٢٥٢، ٢٦٣، د. سعيد بحيري: مدخل إلى علم النص، ص١٢٠ – ١٢١، د. صبحي الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١/٧٣.

(٣) جمهرة خطب العرب، ١/١٤٩، ١٥٠.

(٤) النص والخطاب والإجراء، ص٣٠٧.

(٥) د. فالح بن شبيب، مدخل إلى علم اللغة النصي، ص٢٩.

في جميع اللغات، وإن كانت أدواته تختلف من لغة إلى أخرى(١).

فهناك أدوات تستعمل لتعيين المعرف من النكرة في أكثر اللغات، فمن المعرف ما هو من الأعلام كـ(آدم وماريا). وأسماء عامة متبوعة بـ(الصفة أو البدل والمشتقات وجمل الصلة). وأسماء عامة مع تحديدات (الأدوات، وضمائر الإشارة، وضمائر الملكية، والأعداد، والكلمات الدالة على الكميات). أما غير المحددات فهي النكرات كـ(المرء، شخص ما، شيء)(٢). ومن خلال ما سبق يتبين أن أسماء المعرفة لا تتطلب تنشيطًا كبيرًا لذهن المتلقي؛ لكونها غالبًا ما تكون معلومة لديه. على حين تثير النكرات قدرًا أكبر من تنشيط الذهن لدى المتلقي؛ لكونها غير معلومة له قبلاً.

فإذا تأملنا الخطب النبوية وجدنا أن فيها ألفاظًا معرفةً في بنيتها غير محددة في دلالتها نحو (العبد، المرء، الناس، المسلم ... إلخ). كما وجدنا أن الأسلوب النبوي قد جمع بين النكرة والمعرفة في لفظ واحد؛ اعتمادًا على السياق. ومن ذلك خطبته - ﷺ - في مرض موته إذ يقول: «فمن كنت جلدت له ظهرًا، فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضًا، فهذا عرضي فليستقد منه، ومن كنت أخذت له مالاً، فهذا مالي فليأخذ منه»(٣).

فقد جاء لفظ (ظهر) نكرة حيث لم يرد به ظهر شخص معين، بل أراد أي شخص قد ضربت له ظهرًا فله أن يقتص مني بضرب ظهري، فجاءت (ظهري) معرفة بالإضافة حيث أسندها النبي - ﷺ - إلى نفسه. والحال ذاته في الجمع بين (عرض - عرضي، مال - مالي). هذا فضلاً عن مجيء رابط (الواو) الذي جمع بين الجمل المتتابعة داخل النص؛ فمنحه الانسجام والسبك.

ثانيًا: عناصر السبك المعجمي Lexical Cohesion:

تتضافر عناصر السبك النحوي والتي سبق ذكرها مع عناصر السبك المعجمي في تماسك النص والتحامه، ويُعنى بالسبك المعجمي "العلاقة الجامعة بين كلمتين أو أكثر داخل المتتابعات النصية". وهي علاقة معجمية خالصة حيث لا تفتقر إلى عنصر نحوي يظهرها؛ ومن ثمَّ فهي تخضع لعلاقات أخرى غير التي تخضع لها عناصر السبك النحوي؛ ولذلك خصها النصيون بدراسات مستقلة(٤).

وقد اتخذت دراسة السبك المعجمي لدى اللغويين النصيين محورين أساسيين تدور حولهما: أولهما: التكرار Repetition، وثانيهما: المصاحبة اللغوية Collocation، حيث أفرد لهما اللغويون مجالاً واسعًا للدراسة والتصنيف(٥).

١- التكرار Repetition:

يُعنى به عند النصيين «إعادة عنصر معجمي ما أو مرادفه أو شبهه أو عنصر مطلق أو اسم

---

(١) د. محمود نحلة: التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل، ط دار التوني للطباعة والنشر، ١٩٩٧م، ص١١.

(٢) د. سعيد بحيري: مدخل إلى علم النص، ص٦٩ - ٧٠، ١٢٤، ١٢٥.

(٣) الطبري، ١٨٩/٣، ١٩٠، جمهرة خطب العرب، ١٥٨/١.

(٤) لسانيات النص، ص٢٤.

(٥) الخصائص اللغوية، ص٧٤.

عام»[1].

والحق أن العرب القدماء قد التفتوا إلى هذا المظهر من المظاهر البيانية مدركين أهميته في تماسك النص وتقوية المعنى، إذ يقول الرضي: «التكرير ضم الشيء إلى مثله من اللفظ مع كونه إياه في المعنى للتأكيد والتقرير»[2]؛ وذلك لكون التكرير يعتمد على ترداد اللفظ أو إعادة ذكره بنفسه أو بمعناه سواء أكان هذا المعنى مصاغاً في كلمة مفردة أم في جملة، والسبك هنا تَأَتَّى من تعلق الألفاظ بعضها ببعض[3]. وهذا ما دعا النصيين إلى جعل التكرار من عناصر السبك المعجمي؛ ولكونه تعبيرًا يكرر في الكل والجزء[4]. كما عرفه د. سعيد بحيري بقوله: «الإحالة التكرارية هي الإحالة بالعودة وتتمثل في Epanaphora تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد ... والإحالة بالعودة أكثر أنواع الإحالة دورانًا في الكلام»[5].

ويرى علماء اللغة النصيون أنها أوثق أنواع التكرار حيث يقول دريسلر: «إن هذا النوع من إعادة اللفظ يعطي منتج النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة؛ لأن أحد العنصرين المكررين قد يسهل فهم الآخر»[6].

صور التكرار:

تعددت أشكال التكرار داخل النص ومنها:

(أ) إعادة تكرار اللفظ نفسه، ومنه قوله تعالى: ﴿**الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ**﴾ (الحاقة ١- ٢)، وعد البلاغيون منه رد العجز على الصدر، كما في قول الأقيشر:

سريع إلى ابن العم يلطم وجهه وليس إلى داعي الندى بسريع

حيث كرر لفظ (سريع) في صدر البيت وعجزه، وهكذا يقوم العنصر المعجمي المعاد بوظيفة الربط بين شطري البيت[7]. ويشترط لهذا التكرار وحدة المحيل إليه في اللفظين المتكررين حسب مبدأي الثبات والاقتصاد[8].

ومنه خطبته - ﷺ -: «أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا قد كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا قد وجب، وكأن الذي نشيع من الأموات سفر، عما قليل إلينا راجعون، نبوئهم أجداثهم، ونأكل من تراثهم، كأنا مخلدون بعدهم، ونسينا كل واعظة، وآمنا كل جائحة، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن

---

(١) لسانيات النص، ص٢٤.

(٢) الرضي: شرح الكافية في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت، ١/١٥.

(٣) ينظر علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١٩/٢.

(٤) Crystal, David: The Cambridge Encyclopedia of Language, p.119.

(٥) د. سعيد بحيري: من أشكال الربط في القرآن الكريم، مقال من مجموعة مقالات مهداه للعالم الألماني فيشر، إشراف د. محمود فهمي حجازي، ط مركز اللغة العربية، القاهرة، ١٩٩٤م، ص١٥١.

(٦) النص والخطاب والإجراء، ص٣٠٦.

(٧) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ١٠٢/٦.

(٨) النص والخطاب والإجراء، ص٣٠٣.

أنفق مالاً اكتسبه من غير معصية، وجالس أهل الفقه والحكمة، وخالط أهل الذل والمسكنة، طوبى لمن زكت وحسنت خليقته، وطابت سريرته، وعزل عن الناس شره ...»[١].

فنلاحظ اعتماد الأسلوب على تكرار عناصر بعينها مثل (كأن) التي أفادت التشبيه مع تكرار التركيب بين الجملتين الأوليتين ففيهما (كأن + اسم + جار ومجرور + قد + فعل). كما كرر العنصر (طوبى)، الذي بيَّن جزاء وثواب من جاء بهذه الخصال المحمودة من الخير. وقد جاء العنصر المكرر في بداية كل جملة فعمل على الربط بين سابقتها ولاحقتها؛ فكان لذلك أثره في السبك والتماسك المعجمي.

(ب) التكرار بإعادة المعنى واختلاف اللفظ (الترادف) وقد عرف المحدثون المترادفات بأنها «ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل بينها في أي سياق»[٢]. وكما عرفه النصيون بقولهم هي تعبيرات استبدال سبقت صياغتها في النظام «قابلة للتوسيع أحياناً أيضًا»[٣]. وهذا النوع من التكرار يلي ما سبق في الأهمية، ويمكن عده من أوجه الصياغة الاسمية المتكافئة نصيًا، وهي تشبه المترادفات النصية وتكمن أهميته في كون المترادفات متحققة في النص فعلاً، وهي التي أعيد تعيينها من خلال المتكررات المعنوية، وهذا يعمد إليه مؤلف النص لتأكيد فكرة ما أو إثباتها أو الحث عليها[٤].

وهو إما ترادف تام Synonymy أو شبه ترادف Near Synonymy. أما الترادف التام فمختلف فيه بين القدماء والمحدثين[٥].

أما شبه الترادف ويقصد به تكرار المعنى مع وجود فروق بين المعنيين في دلالة اللفظ، كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ**﴾ (يوسف/ ٨٦) فقيل البث هو تفرق الحزن وعدم كتمانه، من قولهم: (بثثتك ما في قلبي) أي أعلمتك إياه. أما (الحزن) فهو غلظ الهم وكتمانه[٦].

فأما الترادف فمنه خطبته – ﷺ – في الاستسقاء: «اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا، مريئًا هنيئًا مريعًا، سحًا سجالاً، غدقًا طبقًا، ديمًا دررًا، تحيي به الأرض، وتنبت به الزرع، وتدر به الضرع، واجعله سقيًا نافعة، عاجلاً غير رائث»[٧].

فنلاحظ من خلال النص السابق ميل الأسلوب النبوي إلى تكرار المعاني للفظة (مغيث) وذلك من خلال تعدد صفاته، وجاء ذلك في ألفاظ مفردة فهو غيث (يغيث الناس من الموت، هنيئًا مريئًا لهم، مشبعًا مغطيًا عامًا موزعًا على الجهات كلها)، كما ختم بجمل متقاربة المعنى نحو (تحيي الأرض، وتنبت به الزرع، وتدر به الضرع)، وهذا من باب إعادة الصياغة الموسعة للفظة[٨] (مغيث).

---

(١) جمهرة خطب العرب، ١٥٣/١.

(٢) ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال بشر، الطباعة القومية، القاهرة، ١٩٦٢م، ص٥٨.

(٣) د. سعيد بحيري: مدخل إلى علم النص، ص١٣١ بتصرف.

(٤) د. سعيد بحيري: مدخل إلى علم النص، ص١٣٨ بتصرف.

(٥) ينظر للباحثة مبحث الظواهر المعجمية والدلالية عند د. بنت الشاطئ، مجلة علوم اللغة، م٦، ع٢١، ٢٠٠٣م، ص١٨٢ وما بعدها.

(٦) أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، ط دار العلم والثقافة، ١٩٩٧م، ص٢٦٧.

(٧) جمهرة خطب العرب، ١٥٥/١.

(٨) ينظر أوجه إعادة الصياغة الاسمية التعبيرية: د. سعيد بحيري: مدخل إلى علم النص، ص١٣٧.

أما شبه الترادف فمنه خطبته – ﷺ – في أول جمعة بالمدينة إذ يقول: «... من يتق الله فقد فاز فوزًا عظيمًا، وإن تقوى الله يوقي مقته، ويوقي عقوبته، ويوقي سخطه، وإن تقوى الله يبيض الوجوه، ويرضي الرب، ويرفع الدرجة»(١).

فقد ورد تكرار باللفظ نفسه متمثلاً في (تقوى الله)، كما جاء تكرار بالمعنى في (مقته، عقوبته، سخطه). فضلاً عن إحالة الضمير ومرجعيتها إلى لفظ الجلالة. كما جاء شبه الترادف في (يبيض الوجوه، ويرضي الرب، ويرفع الدرجة)؛ وذلك بغض النظر عن الفروق بين تلك المعاني، إلا أنه يجمع بينها تساوي الجمل ووحدة تركيبها وقرب معانيها.

(ج) هذا وقد يرد التكرار بواسطة كلمة شاملة تندرج تحتها كلمة أخرى، وهو ما يطلق عليه الاسم الشامل Super Ordinate.

ومنه خطبته – ﷺ – في يوم أحد: «أيها الناس إنه قذف في قلبي أن من كان على حرام فرغب عنه ابتغاء ما عند الله غفر له ذنبه، ومن صلى على محمد وملائكته عشرًا، ومن أحسن وقع أجره على الله في عاجل دنياه، أو في آجل آخرته، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فعليه الجمعة يوم الجمعة، إلا صبيًا أو امرأة أو مريضًا أو عبدًا مملوكًا»(٢).

فقد ورد في النص ألفاظ عامة مثل (الناس) فهي تشمل تارك الحرام رغبة في رضا الله، والمصلي على النبي وملائكته، والمحسن في عمله، والمؤمن بالله واليوم الآخر. كما جاء العنصر (مَنْ) اسمًا موصولاً عامًا يجمع كل من آمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة، واستثنى من ذلك الصبية والنساء والمرضى والعبيد فهي غير واجبة عليهم. هذا فضلاً عن عناصر السبك النحوي التي اتحدت مع قسيمتها في جعل النص وحدة واحدة يعلق بعضه بعجز بعض.

(د) وقد يرد التكرار في النص من خلال اسم عام غير محدد الدلالة مثل كلمة (شيء أو أمر أو مسألة) إذ يعني كل منها عدة دلالات تختلف باختلاف السياق الواقع فيه(٣). ومنه قوله: تفوق زيد في المسابقة وهذا شيء جميل.

ومنه خطبته – ﷺ – بالخيف إذ يقول: «نضَّر الله عبدًا سمع مقالتي فوعاها، ثم أداها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»(٤).

فلفظة (عبد) جاءت نكرة غير محددة، إلا أن الأُسلوب الخطابي قد بين المراد منه، وهو من سمع مقالة النبي – ﷺ – فوعاها وفهمها وبلغها لغيره فرُبَّ مُبلَّغٍ أوعى من سامع؛ ولذلك يدعو له بنضرة الوجه يوم القيامة، وقد بدا النص كله كجملة واحدة لشدة سبكه.

(هـ) ومن صور التكرار التفصيل بعد الإجمال ويُعنى به شرح ما أجمل سابقًا؛ ولذلك يحمل التفصيل

---

(١) تاريخ الطبري، ٣٩٥/٢، جمهرة خطب العرب، ١٤٩/١.

(٢) جمهرة خطب العرب، ١٥٠/١.

(٣) الخصائص اللغوية في الخطابة الدينية، ص٧٥.

(٤) إعجاز القرآن، ص٩٨، جمهرة خطب العرب، ١٥١/١.

مرجعية خلفية لما سبق إجماله[1]، ومنه خطبته – ﷺ – بالخيف إذ يقول: «ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن: إخلاص العمل لله، والنصيحة لأولي الأمر، ولزوم الجماعة»[2]. وخطبة له – ﷺ – إذ يقول: «... إن العبد بين مخافتين، أجل قد مضى لا يدري ما الله فاعل فيه، وأجل باق لا يدري ما الله قاضٍ فيه ...»[3].

فقد فُصّل ما أجمل في قوله: (ثلاث لا يغل عليهن قلب المؤمن) بما جاء بعدها من (إخلاص العمل لله، والنصيحة لأولي الأمر، ولزوم الجماعة). كذلك جاء لفظ (مخافتين) مجملاً وقد تم تفصيله فيما بعدها من خوف العبد مما مضى من أجله أكان له أم عليه؟ وكذلك مما بقي، وكأنه شرح وتوضيح لما جاء أولاً.

(ز) من صور التكرار (التكرار التركيبي) وفيه يعمد المخاطِب إلى توجيه خطابه في شكل جمل منسقة تركيبيًا من حيث مكوناته، ومنه قول الجاحظ: «الكتاب هو الجليس الذي لا يطريك والصديق الذي لا يغريك والرفيق الذي لا يملك ... إلخ»[4]. فقد اعتمد الكاتب على أشكال متكررة مكونة من (اسم + الذي + لا + فعل مضارع + ك)، وهي أيضًا تعبيرات مرتبطة في المعنى تدل على تكريم الكتاب بصفته صديقًا مخلصًا للقارئ[5]. ومنه خطبته – ﷺ – في مرض موته إذ يقول: «فمن كنت جلدت له ظهرًا، فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضًا، فهذا عرضي فليستقد منه، ومن أخذت له مالاً، فهذا مالي فليأخذ منه»[6].

فنلاحظ تكرار النمط التركيبي المتمثل في أُسلوب الشرط وأجزاءه (اسم الشرط + جملة فعل الشرط + جملة جواب الشرط) ويمثله (من + الفعل الناسخ بركنيه + الفاء + جملة جواب الشرط). وهذا يدل على مدى حرص النبي – ﷺ – على التخلص من أية حقوق للعباد عليه سواء أكانت بالضرب أو السب أو أخذ المال، وهو أبعد ما يكون عن ذلك إلا أنه أراد أن يجعل من نفسه مثلاً يُحتذى به.

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن التكرار إذا جاء في سياق غير محتاج له أدى إلى إضعاف الإعلامية، وذلك بسبب الإسراف فيه، كأن يقال: ذهبنا إلى البيت وذهبنا إلى البيت.

ويمكن التغلب على ذلك باستعمال بعض الأساليب التي تتكرر فيها الأشكال مع بعض الاختلاف في المحتوى، أو يتكرر فيها المحتوى مع اختلاف الأشكال، ومنه ما يعرف بـ(الموازاة)، والمقصود بها تكرار أشكال الإخراج ذاتها في ظاهر النص، مع شغلها بتعبيرات مختلفة[7].

٢ – المصاحبة اللغوية Collocation:

تعد المصاحبة اللغوية ثاني عناصر السبك المعجمي بعد التكرار وآخر العناصر المعجمية في تناولنا، ويعنى بها العلاقات التي تربط بين بعض الوحدات المعجمية المنفردة، وهو ارتباط يعتاد أبناء اللغة وقوعه

---

(١) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ١٤١/٢.
(٢) إعجاز القرآن، ص٩٨، جمهرة خطب العرب، ١٥١/١.
(٣) تاريخ الطبري، ٣٩٥/٢، جمهرة خطب العرب، ١٤٩/١.
(٤) الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، منشورات محمد الداية، ٥٠/١.
(٥) إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص٨٧.
(٦) الطبري، ١٩١/٣، جمهرة خطب العرب، ١٥٩/١.
(٧) إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، ص٨٢، ٨٧.

في الكلام بحيث يمكن توقع ورود كلمة محددة في النص من خلال ذكر كلمة أخرى فيه، وتتميز تلك الظاهرة بعدم افتقارها إلى مرجعية سابقة أو لاحقة كما كان الحال معروفًا بالنسبة للعناصر السابق ذكرها(١). ويصنف النصيون هذه العلاقات المعجمية الخاصة بالمصاحبة تصنيفًا علميًا بالرغم من صعوبة ذلك؛ لشدة التداخل بين هذه الأصناف ويمكن رصدها على النحو التالي:

أ- علاقة التضاد بين الأسماء المتعارضة مثل (رجل – امرأة) و (ولد – بنت)، كما تقع بين الأفعال مثل (يصمت – يتكلم – يأتي – يذهب)(٢)، وقد عُرف عند القدماء(٣) بـ(الطباق) في المفردات، ومنه قوله تعالى: ﴿**تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء**﴾ (آل عمران ٢٦). وبـ(المقابلة) في الجمل ومنه قوله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى**﴾(٤) (الليل ٥ – ١٠).

ب- علاقة التدرج التسلسلي المرتب بين زوجين من الألفاظ مثل: (أيام الأسبوع أو الشهور).

ج- علاقة الجزء بالكل، مثل: (السقف – الجدران – الحجرة) وعلاقتها بالمنزل.

د- علاقة الجزء بالجزء، مثل: (الأنف – الذقن – العين).

هـ- علاقة الصنف العام، مثل: (الطواف – الكعبة – السعي) وعلاقتها بالحج فهو الصنف الذي يجمعها.

و- علاقة التلازم الذكري، مثل: (المرض – الطبيب، السفر – الطائرة، الطالب – الامتحان)(٥).

ولاشك أن تداخل هذه الأزواج من الألفاظ يسهم بدور فعال مع باقي العناصر الأخرى في السبك المعجمي، وسنتبين ذلك من خلال تحليل بعض الخطب النبوية فيما يلي:

(١) خطبته – ﷺ – حين دعا قومه بمكة: « والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحسانًا، وبالسوء سوءًا، وإنها لجنة أبدًا أو لنار أبدًا»(٦).

فبتأمل النص السابق نلاحظ ورود أزواج من الألفاظ يعارض بعضها بعضًا، كـ(خاصة – كافة، إحسانًا – سوءًا، جنة – نار). هذا فضلاً عن ورود عناصر نصية ومعجمية متمثلة في: (الإحالة المرجعية في (هو) المحيل إحالة داخلية سابقة إلى لفظ الجلالة) والحذف في (وإلى الناس كافة) والعنصر المحذوف (إني لرسول الله)، ودليل حذفه سبق ذكره أولاً والإحالة فيه داخلية سابقة. والربط بـ(الواو) الجامعة بين المتشابهات لإفادتها المشاركة. هذا بالإضافة إلى التكرار باللفظ نفسه في (والله). كما نلاحظ الجمع بين (الإحسان إحسانًا،

---

(١) David Crystal: A Dictionary of Linguistics and Phonetics, p. 62; Monir Baalbaki: Dictionary of Linguistics Terms, p. 98.

(٢) د. سعيد بحيري: مدخل إلى علم النص، ص١٣٣، لسانيات النص، ص١٣٠ – ١٣٢.

(٣) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ٨/٦.

(٤) السابق نفسه، ١٨/٦.

(٥) لسانيات النص، ص٢٥، الخصائص اللغوية في الخطابة الدينية، ص٨١، ٨٢.

(٦) جمهرة خطب العرب، ١٤٧/١.

والسوء سوءًا) بالرغم من اختلاف المعنى، فالإحسان والسوء المعرفين يراد بهما العمل، على حين يراد بالنكرتين الجزاء، وهكذا تضافرت العناصر النحوية والمعجمية في سبك النص وتماسكه.

(٢) ولا يقتصر التعارض على المفردات بل يتعداها إلى الجمل المتعالقة عبر فقرات من النص، ومن ذلك خطبته – ﷺ – بالخيف إذ يقول: «ومن كان همه الآخرة جمع الله شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كان همه الدنيا فرق الله أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له»[١].

فالمقابلة جاءت رابطة بين الجمل المتتابعة عبر النص؛ وذلك من خلال الجمع بين حال من كان همه الآخرة فعمل لها؛ فكان جزاءه جمع شمله وغنى قلبه وأتته الدنيا مُنقادة له، وحال من كان همه الدنيا فعمل لها ونسي آخرته؛ فكان جزاءه تفريق أمره وفقره ولم يصب من الدنيا إلا ما قد قدر له. وقد جاء الخطاب مرتبًا ترتيبًا يتناسب مع الواقع، مقدمًا الأولى للأهمية (حال الصالح وشأنه)، مرغبًا أولاً ثم مرهبًا؛ فكان لذلك أثره في انسجام النص[٢].

كما نلاحظ سوق هذه الجمل من خلال (أسلوب الشرط) الذي يتعالق فيه جملة الجواب بجملة الشرط وتعالقهما باسم الشرط، وهذا من عناصر الحبك، كما يمكن عده من التكرار التركيبي لتماثل التركيبين. وفيه ربط بـ(الواو) بين الجمل المعطوفة على جواب الشرط مما يفيد تلاحمها. فضلاً عن الإحالة المرجعية في الضمير (الهاء) في (همه – شمله – غناه – قلبه – أتته – أمره – فقره – عينيه – يأته)، وجميعها محيلة إحالة داخلية سابقة راجعة إلى (من). كما جاء الضمير (هي) محيل إحالة داخلية سابقة أيضًا ومرجعيتها (الدنيا)، وهو الحال نفسه في (راغمة)؛ وهكذا تعالقت الجمل المتتابعة داخل النص فصارت كأنها جملة واحدة.

(٣) ومن علاقات المصاحبة التدرج التسلسلي الواضح في خطبته – ﷺ – إذ يقول: «وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله، يوم خلق السماوات والأرض، منها أربعة حُرم، ثلاث متواليات، وواحد فرد: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان. ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!»[٣].

فقد ذكر النبي – ﷺ – عدة الشهور عند الله ردًا على فعل الجاهليين في العمل بـ(النسيء) وهي مرجعية داخلية سابقة مبينًا الحرم منها وهي ثلاثة متواليات (ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم) ، وواحد منها منفرد هو (رجب)، وهذا ترتيب تسلسلي يعتمد على علم المخاطب والمتلقي بشهور العام وهي مرجعية خارجية ترتبط بالسياق الذي ورد فيه النص. كما يمكن عد هذا النص من باب التفصيل بعد الإجمال. هذا بالإضافة إلى أن هناك حذفًا عباريًّا متمثلاً في (اللهم اشهد) والتقدير (اللهم اشهد أني قد بلغت)؛ اعتمادًا على ما سبق ذكره أولاً؛ ومن ثمَّ فهو محيل إحالة داخلية سابقة. هذا كما جاء الربط بـ(الواو) بين الأشباه من أسماء

(١) إعجاز القرآن، ص٩٩، جمهرة خطب العرب، ١/١٥١.

(٢) ينظر أثر ترتيب الخطاب لسانيات النص، ص٤٠.

(٣) إعجاز القرآن، ص٩٧، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٧.

الشهور في (ذو الحجة، والمحرم ورجب) وعطفها على (ذو القعدة). كما جاءت الإحالة بالاسم الموصول ومرجعيته داخلية سابقة راجعة إلى (رجب). هذا بالإضافة إلى التبعية المتمثلة في النعت المخصص لـ(أربعة حرم، ثلاثة متواليات، وواحد فرد، رجب الذي بين جمادى وشعبان) ونلاحظ تنوعها بين المفرد والجملة؛ وهكذا أسهمت هذه العناصر جميعها (نحوية ومعجمية) في سبك النص.

(٤) أما علاقة الجزء بالكل فنجد منها النصوص التالية:

الأول: قوله – ﷺ –: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فعليه الجمعة يوم الجمعة، إلا صبيًا أو امرأة أو مريضًا أو عبدًا مملوكًا»(١).

الثاني: قوله – ﷺ –: «فلا ترجعن بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»(٢).

الثالث: قوله – ﷺ –: «فمن كنت جلدت له ظهرًا، فهذا ظهري فليستقد منه»(٣).

فنلاحظ في النص الأول أن الأسلوب قد شمل جميع المسلمين بلفظة (من) في افتراض الجمعة، إلا أنه استثنى أصنافًا محددة هي، (الصبية والنساء، والمرضى، والعبيد)؛ فهم غير مكلفين بأدائها في المساجد ومن أداها لا يعدم ثوابه من الله، ويمكن عد (من) في أول النص اسمًا عامًا شاملاً يجمع الأصناف المذكورة وغيرها. كما أن الرابط (أو) جاء بمعنى (الواو) في الجمع بين المعطوفات في (امرأة أو مريضًا أو عبدًا مملوكًا). بالإضافة إلى تبعية النعت في (عبدًا مملوكًا) لإفادة عدم أهليته.

أما النص الثاني فجاء فيه لفظ (الرقاب) يمثل جزءًا من كل، وخصه بالذكر لأنه موضع القتل. وقد جاء الأسلوب إنشائيًا نوعه النهي؛ لإفادة النصح والتوجيه من النبي – ﷺ – إلى العباد من بعده. وهنا تلازم ذكري بين لفظي (يضرب ورقاب) فلا يذكر الرقاب في سياق القتل إلا وذكر معه الضرب، ودليله قوله تعالى: ﴿**فَضَرْبَ الرِّقَابِ**﴾ (محمد/ ٤).

أما في النص الثالث فقد جاء فيه لفظة (ظهر) وهي جزء من الجسم؛ وخصه بالذكر لأنه موضع الجلد. وقد أكدت الإحالة باسم الإشارة في هذا (ظهري) ومرجعيته داخلية لاحقة. أما الضمير في (منه) فمرجعيته داخلية سابقة راجعة إلى (من). هذا فضلاً عن علاقة الشرطية المتمثلة في الشرط وجوابه، وهي من علاقات (الحبك).

(٥) أما آخر هذه العلاقات فهي علاقة الصنف العام الذي يندرج فيه أكثر من لفظ ومنه قوله – ﷺ – فيمن ترك الجمعة دون عذر مبينًا عقابه فيقول: «فلا جمع الله له شمله، ولا بارك في أمره، ألا ولا حج له، ألا ولا صوم له، ألا ولا صدقة له، ألا ولا بر له، ألا ولا يؤم أعرابي مهاجرًا، ألا ولا يؤم فاجر مؤمنًا»(٤).

فألفاظ (الحج – صوم – الصدقة – الإمامة في الصلاة) كلها من العبادات. على حين يكون البر من (الأخلاق). كما نلاحظ شبه الترادف الجملي بين (فلا جمع الله له شمله، ولا بارك في أمره) إضافة إلى إحالة

---

(١) جمهرة خطب العرب، ١/١٥٠.

(٢) إعجاز القرآن، ص٩٧، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٧.

(٣) تاريخ الطبري، ٣/١٨٩ – ١٩٠، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٨.

(٤) إعجاز القرآن، ص٩٦، جمهرة خطب العرب، ١/١٥٣.

الضمير (الهاء) في (له – شمله – أمره)، ومرجعيته داخلية سابقة راجعة إلى من ترك الجمعة. كما وجد من عناصر السبك المعجمي التكرار في العنصر (ألا ولا)، وما أفاده من تأكيد. والربط بالواو بين المعطوفات وما أفاده من الجمع والمشاركة. والتضاد بين (الفاجر والمؤمن) و(أعرابي ومهاجر). وقد جاء هذا كله في أسلوب إنشائي دعائي.

وهكذا جاءت نصوص الخطابة النبوية متمثلة جميع معايير النصية، فهي تعتمد أولاً على الهدف المرجو منها أي الفكرة التي أراد النبي – ﷺ – التركيز عليها، فجاء ذلك من خلال نصوص متلاحمة الأجزاء مستوفية لشروط السبك النحوي والمعجمي، مناسبة للموقف الذي جاءت فيه، موجزة قصيرة الجمل؛ فأدى ذلك إلى نجاح عملية الاتصال من جانب المتلقي؛ فتحقق الفهم والإدراك؛ ومن ثم تحقق مقصد الخطبة.

ويمكن تحديد خطوات بناء الخطبة في (الموضوع العام، الأفكار الأساسية والفرعية التي يعرض من خلالها)، مع مراعاة ترتيب تلك الأفكار ترتيبًا منطقيًا، وتغليف ذلك بقواعد لغوية مناسبة، عرفت بفصاحتها وجزالتها ووضوحها.

النتائج

١- عني البحث بدراسة معايير علم اللغة النصي المختلفة، وذلك في الإطار النظري. على حين ركز على عناصر السبك بنوعيها (النحوي والمعجمي)، من خلال القسم التطبيقي على الخطب النبوية؛ رغبة في الإيجاز، إلا أننا قد ألمحنا إلى بعض العناصر التي لم يتناولها البحث كـ(عناصر الحبك) عند تحليلنا للنصوص كلما كان ذلك لازمًا.

٢- أثبت البحث أن مهمة علم اللغة النصي تتمثل في وصف العلاقات الداخلية والخارجية للأبنية النصية بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر العديدة لأشكال التواصل واستخدام اللغة؛ ومن ثمَّ أصبحت النصوص بأبنيتها وشروطها الوظيفية موضع بحث مركزي في الدراسة اللغوية.

٣- يمثل علم اللغة النصي علمًا متداخلاً، حيث يعمد إلى منهجيات العلوم الإنسانية الأخرى والاستعانة بها في تحليل النصوص، ومن ذلك (علم الاتصال خاصة مشاكل الاتصال الجماهيري، علم الاجتماع والنفس. ولاسيما علم النفس الإدراكي. وكذلك علم التربية وعلم القانون ... إلخ)؛ ومن ثمَّ يوصف بأنه علم متداخل؛ فهو مجموعة علوم متشابكة.

٤- التفت البحث إلى إسهامات القدماء في دراسة عناصر وأصول تتصل بعلم اللغة النصي عند المحدثين، وإن كانت لم تأخذ شكل النظرية أو تتشكل في قوالب علمية متكاملة.

٥- يمتاز التحليل النصي بكونه لا يقتصر على دراسة المستويات (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية) فحسب، بل يسعى إلى جمع هذه المستويات في إطار كلي يتدرج فيه من دراسة الجملة إلى دراسة النص كوحدة واحدة، لا يعدم فيها أثر المتلقي ومقصد المخاطب والسياق الذي دار فيه النص والموقف، كل هذا في إطار عناصر السبك النحوي والمعجمي.

٦- استهدفت الخطابة النبوية مقصدًا عامًا يتمثل في توجيه النصح والوعظ والإرشاد إلى جمهور المستمعين؛ وذلك لكون النبي - صلى الله عليه وسلم - هو المعلم لشئون الدين والدنيا.

٧- يمثل المتلقي ركيزة في التحليل النصي؛ لكونه هو المستقبل للنص، والذي يقوم بفهمه وفك شفرته؛ استجابة لغرض المخاطِب في إنجاح توصيل الرسالة المقصودة.

٨- يهتم التحليل النصي أيضًا بالسياق الذي ورد فيه النص؛ لكونه يمثل الموقف بما فيه من أحداث وشخصيات ومكان وزمان وظروف وملابسات ... إلى غير ذلك من المؤثرات.

٩- أثبت البحث من خلال عرض العلاقة بين نحو الجملة ونحو النص أنهما متكاملان؛ لكون الجملة هي بنية النص؛ ومن ثمَّ يجب اعتماد قواعد نحو الجملة ودلالتها داخل تحليل بنية النص؛ وبهذا يكون هناك نظام دلالي ونحوي واحد يجمع بينهما.

١٠-أثبت التحليل النصي أهمية استعمال اللغة بطريقة عملية؛ وذلك من خلال دورها في التواصل الإنساني؛ ومن ثمَّ يجب على النصيين الاهتمام بدراسة النصوص وتحليلها واستنباط قواعدها أكثر من اهتمامهم بوضع أشكال نحوية تفرض على دراسة النصوص.

١١-أثبت البحث بعض الاختلاف بين قواعد التنظير عند النصيين من جهة والنصوص العربية من خلال التحليل من جهة أخرى، ومن ذلك عناصر الربط اللفظي والمعنوي؛ وهذا يؤكد أنه بالرغم من ثبات القواعد في أكثر اللغات، إلا انه يظل لكل لغة خصوصيتها في تداول هذه القواعد وممارستها بالفعل.

١٢-حرص البحث على الجمع بين قواعد النصيين وأقوال القدماء في دراسة بعضها، فأضاف إلى تناول المحدثين ما ورد ذكره عند القدماء؛ ومن ذلك عنصر التفصيل بعد الإجمال في إطار التكرار. والربط المعنوي دون الأداة في النعت والإسناد في إطار عنصر الربط ضمن عناصر السبك النحوي.

١٣-أضاف البحث إلى عناصر السبك النحوي عنصر (التحديد) التعريف والتنكير؛ وذلك بالرغم من أن أكثر النصيين لم ينصوا عليه. كما لفت البحث إلى نمط آخر من أنماط التكرار اختصت به العربية هو (التكرار التركيبي)، حيث يميل المخاطِب إلى توجيه خطابه في شكل جمل متناسقة تركيبيًا، وقد أُثبِت ذلك من خلال نصوص الخطابة النبوية.

١٤-بيَّن البحث أن وصف وتحليل نصوص الخطابة النبوية وسَّع في إضافة قواعد جديدة في الأصول النظرية، ومن ذلك الحذف حيث حصره النصيون في (حذف الاسم والفعل والعبارة). على حين أثبت التطبيق حذف الحرف والحركة وأكثر من جملة من خلال السياق.

١٥-اتفق القدماء من علماء العربية والمحدثون من النصيين على جعل الإحالة بالتبعية من عناصر السبك النحوي سواء أكانت في المفردات أم الجمل. وقد أثبت البحث توافرها أيضًا في النص بأكمله.

١٦-أثبت البحث أن الإسناد خاصية دلالية تعتمد على كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى.

١٧-اتفق القدماء والمحدثون في جعل التكرار من عناصر السبك المعجمي، حيث يؤدي إلى تكرار اللفظ ذاته أو بمعناه أو بلفظ شامل أو عام له أو بالتفصيل أو بالتكرار التركيبي؛ ومن ثمَّ يعد سلسلة من أوجه إعادة الصياغة المتكافئة نصيًا، أي المتساوية بالنسبة لسياقاتها الواردة فيها، فهي ذات طبيعة مشابهة في التحديد إذ يمكن أن تعد محددات لمحدد واحد هو موضوع النص.

١٨-تناول البحث عنصر المصاحبة اللغوية، والمتمثلة في الجمع بين أزواج من الألفاظ يحتم وجود أحدها وجود الآخر، فعرض لعلاقة التضاد في المفردات والتراكيب، وعلاقة التدرج التسلسلي المرتب، وعلاقة الجزء بالكل والجزء بالجزء، هذا بالإضافة إلى علاقة الصنف العام، وهو اللفظ الذي يجمع عدة ألفاظ، وعلاقة التلازم الذكري، وهذه كلها عناصر معجمية تضافرت مع غيرها من العناصر النحوية؛ فعملت على سبك النص وتلاحمه.

المصادر والمراجع العربية

١- **د. الأزهر الزناد:** نسيج النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

٢- **د. إحسان عباس:** تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ط٥، بيروت، دار الثقافة ١٩٨٦م.

٣- **د. أحمد زكي صفوت:** جمهرة خطب العرب، ط المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

٤- **د. إلهام أبو غزالة، علي خليل حمد:** مدخل إلى علم لغة النص، تطبقات لنظرية روبرت ديبو جراند وولفجانج دريسلر، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.

٥- **د. إيناس حسين محمد:** الخصائص اللغوية في الخطابة الدينية في العقدين الأخيرين، بحث دكتوراه، الإسكندرية ٢٠٠٣م.

٦- **أبو بكر الباقلاني:** إعجاز القرآن، تحقيق الأستاذ أبو بكر عبد الرازق، ط مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٩٤م.

٧- **الجاحظ:** الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، بيروت، منشورات محمد الداية، د.ت.

٨- **أبو جعفر محمد بن جرير الطبري:** تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط دار المعارف، ١٩٩٠م.

٩- **د. حسني عبد الجليل يوسف:** إعراب النص، ط١ دار الآفاق العربية، القاهرة ١٩٩٧م.

١٠- **الرضي:** شرح الكافية في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

١١- **روبرت دي بوجراند:** النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، ط عالم الكتب، القاهرة ١٩٩٨م.

١٢- **زتسيسلاف واورزيناك:** مدخل إلى علم النص- مشكلات بناء النص، ترجمه وعلق عليه د. سعيد بحيري، ط مؤسسة المختار، القاهرة ٢٠٠٣م.

١٣- **ستيفن أولمان:** دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال بشر، الطباعة القومية، القاهرة، ١٩٦٢م.

١٤- **د. سعد مصلوح:** نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، مجلة فصول، ط١، م١٠، عدد ١، ٢، يوليو ١٩٩١م، أغسطس ١٩٩١م.

١٥- **د. سعيد بحيري:**

١- مقال/ من أشكال الربط في القرآن الكريم ضمن مجموعة مقالات مهداه للعالم الألماني فيشر، إشراف د. محمود فهمي حجازي، ط مركز اللغة العربية، القاهرة، ١٩٩٤م.

٢- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان، القاهرة ١٩٩٧م.

١٦- **سيبويه:** الكتاب، تحقيق الشيخ عبد السلام محمد هارون، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

١٧- **السيوطي:** الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط بيروت ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٨- **د. صبحي إبراهيم الفقي:** علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق - دراسة تطبيقية على السور

المكية، ط دار قباء، القاهرة، ج١، ٢، ٢٠٠٠م.

١٩- **د. صلاح فضل:** بلاغة الخطاب وعلم النص، ط عالم المعرفة، الكويت ١٩٩٢م.

٢٠- **د. طاهر سليمان حمـــودة:** ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د.ت.

٢١- **د. عبد الجليل شلبي:** الخطابة وإعداد الخطيب، ط٢، وزارة الأوقاف، القاهرة ١٩٩٢م.

٢٢- **عبد القاهر الجرجاني:** دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمـــد شـــاكر، ط الهيئـــة المـــصرية للكتاب، ٢٠٠٠م.

٢٣- **د. عبده الراجحي:** فقه اللغة في الكتب العربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٩٠م.

٢٤- **فولفجانج هاينه من، ديتر فيهفيجر:** مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمه د. فالح بن شبيب العجمي، ط جامعة الملك سعود، ١٩٩٦م.

٢٥- **القزويني:** الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي، ط مكتبة الأزهـــر للتـــراث، ١٩٩٣م.

٢٦- **د. حماسة عبد اللطيف:** بناء الجملة العربية، ط دار الشروق، مصر، ط١، ١٩٩٦م.

٢٧- **مازن الوعر:** نظرية تحليل الخطاب واستقلالية نحو الجملة، مقال من شبكة المعلومات.

٢٨- **د. محمد خطابي:** لسانيات النص – مدخل إلى انسجام الخطاب، ط المركز الثقافي العربـــي، بيـــروت ١٩٩١م.

٢٩- **د. محمود أحمد نحلة:** التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل، ط دار التوني للطباعة والنشر، ١٩٩٧م.

٣٠- **د. نادية رمضان النجار:** مبحث الظواهر المعجمية والدلالية عند د. بنت الشاطئ، مجلة علـــوم اللغـــة، عدد ٢١، مجلد ٦، ٢٠٠٣م.

٣١- **ابن الناظم:** شرح الألفية، تحقيق د. عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، د.ت.

٣٢- **ابن هشام:** مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المـــدني، د.ت.

٣٣- **أبو هلال العسكري:** الفروق اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم سليم، ط دار العلم والثقافة، ١٩٩٧م.

المراجع الأجنبية

34- **Baalbaki, Ramzy Mounir:** Dictionary of Linguistics Terms Beirut, 1990.

35- **David Crystal:**

1- An Encyclopedic Dictionary of Language and Languages, Benguin Books, 1992.
2- A Dictionary of Linguistics and Phonetics, Bacil Blackwell Publishers, 1993.
3- The Cambridge Encyclopedia of Language, Cambridge University, press 1987.

36- **Halliday and R. Hassan:** Cohesion in English, Longman, London, 1976.